اللغة العربية كائن حي

جرجي زيدان

Bibliotheca Alexandrina
0148707

دار الجيل
بيروت - لبنان

جرجي زيدان

اللغة العربية كائن حي

دار الجيل
للنشر والتوزيع والطباعة
بيروت - لبنان
ص.ب. ٨٧٣٧

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

١٩٨٨

فهرست

مقدمـــة	٥
تمهيــد	٨
أدوار تاريخ اللغة	١١
العصر الجاهلي	١٢
الالفاظ الاعجمية	١٥
التغيير في الالفاظ	٢٥
اللغة العربية وحدها	٣٢
الالفاظ الاسلامية	٣٥
الالفاظ الادارية	٣٩
الالفاظ العلمية	٥٠
الالفاظ العامة	٥٨
الالفاظ النصرانية واليهودية	٦٣
الالفاظ الدخيلة والمولدة في عصر التدهور	٦٧
النهضة العلمية الاخيرة	٧٣
لغة الحكومة المصرية في دواوينها	٨٨
الخلاصـــة	٩٢

مقدمـــة

هذا كتاب صغير في بحث جديد ؛ تنبهنا له ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا «الفلسفة اللغوية» لان موضوعه تابع لموضوعها ، او هي خطوة ثانية فـــي تاريخ اللغة باعتبار منشأها وتكونها ونموها .. فالفلسفة اللغوية تبحث في كيف نطق الانسان الاول ، وكيف نشأت اللغة وتولدت الالفاظ من حكاية الاصوات الخارجية ، كقصف الرعد ، وهبوب الريح، والقطع ، والكسر ، وحكاية التف ، والنفخ ، والصفير ، ونحوها .. ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيا ، كالتأوه ، والزفير . وكيف تنوعت تلك الاصوات لفظا ومعنى بالنحت ، والابدال ، والقلب ، حتى صارت ألفاظا مستقلة وتكونت الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وصارت اللغة على نحو ما هي عليه .

وأما تاريخ اللغة ، فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها ، بعد تمـام تكونها ، فيبحث فيما طرأ عليهما من التغيير بالتجدد او الدثور ، فيبين الالفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال ، وما قام مقامها من الالفاظ الجديدة ، والتراكيب الجديدة ، بما تولد فيها ، او اقتبسته من سواها ، مع بيان الاحوال التي قضت بدثور القديم ، وتولد الجديد،

وأمثلة مما دثر ، او أهمل ، او تولد ، او دخل • وهو بحث لغـــوي تاريخي فلسفي قسمنا الكلام فيه الى ثمانية فصول ، باعتبار الادوار التي مرت على اللغة وهي :

١ ــ العصر الجاهلي : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها الى ظهور الاسلام •• أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الالفاظ الاعجمية مــن اللغات الحبشية ، والفارسية ، والسنسكريتية ، والهيروغليفية ، واليونانية وغيرها ، وأسندنا ذلك الى اسباب تاريخية • وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الالفاظ ، وأمثلة مما تولد في اللغة نفسها من الالفــاظ الجديدة ، وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها ، او بالنظر الى ألفاظهــا بحد ذاتها •

٢ ــ العصر الاسلامي : ونريد به ما حدث في اللغة بعد الاسلام من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع ، والفقه، والعلوم اللغوية، ونحوها•

٣ ــ الالفاظ الادارية في الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغــة العربية من الالفاظ الادارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب •• وهي اما دخيلة ، واما مولدة • ويتخلل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى الى آخر •

٤ ــ الالفاظ العلمية في الدولة العربية : ويدخل فيها الالفــاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها الى اللغة العربية في العصر العباسي •

٥ ــ الالفاظ العامة في الدولة العربية : وهي الالفاظ التي تولدت في اللغة ، او دخلتها بغير طريق الشرع ، أو العلم ، كالالفاظ الاجتماعيــة ونحوها •

٦ ــ الالفاظ النصرانية واليهودية : وهي ما دخل اللغة العربية من الالفاظ ، والتراكيب السريانية ، او العبرانية ، بنقل الكتب النصرانية الى العربية •

٧ ـ الالفاظ الدخيلة في الدول الاعجمية : وتتناول ما اكتسبته اللغة من الالفاظ الاعجمية بعد زوال الدول العربية ، وتولي الدول التركية ، والكردية ، وغيرها •

٨ ـ النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الالفاظ الجديدة . واقتباس الالفاظ الافرنجية للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والادارة ، وغيرها •

وصدرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها ، وختمناه بفصل في لغة الدواوين ، وخلاصة في مجمل ما تقدم •

على اننا نعد ما كتبناه في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة ، فتحنا بها باب البحث لأئمة الانشاء ، وعلماء اللغة •• فنتقدم اليهم ان يوفوا الموضوع حقه ، او يزيدونا منه لانه يحتاج الى بحث كثير ، ودرس طويل • وقد اصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم ، والادب ، والشعر ، في غاية الافتقار اليه •• ليعلم حملة الاقلام ان اللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ، تتجدد ألفاظها ، وتراكيبها على الدوام •• فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لم يستخدمه العرب له • وقد يكون تهيبهم مانعا من استثمار قرائحهم ، وربما ترتب على اطلاق سراح اقلامهم فوائد عظمى تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل • ولا بد من اعتبار القواعد العامة ، والروابط الاساسية ، مما اشرنا اليه في محله •• ناهيك بما ينجم عن معرفة اصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي •

جرجي زيدان

تمهيـــد

نواميس الحياة :

من أهم نواميس الحياة : النمو ، او التجدد ، وهو ينطوي على دثور الانسجة وتولد ما يحل محلها •• ومعنى ذلك ان الجسم الحي مؤلف من خلايا لكل منها حياة مستقلة ، اذا انفضت ماتت الخلية وانحلت أجزاؤها والصرفت ، وتولدت في مكانها خلية جديدة تتكـــون من العصارات الغذائية ، كالدم ونحوه •• فالجسم الحي في انحلال وتولد دائبين . حتى قالوا : ان جسم الانسان يتجدد كله في بضع سنين ، اي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألف منها قبلا . وبغير هذا التجدد لا يكون الجسم حيا • واذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع من تجدد الانسجة أسرع اليه الفناء •• فالتجدد ضروري للحياة •

وحياة الامة مثل حياة الفرد ، بل هي ظاهرة فيها أكثر من ظهورها فيه . لان الامة انما تحيا بدثور القديم ، وتولد الجديد •• فكأن أفراد الامة خلايا يتألف منها بدن تلك الامة ، وهو يتجدد في قرن كما يتجدد جسم الانسان في عقد من عقود تلك القرون •

واذا تتبعنا نمو الامة بتوالي الاجيال ، رأيناها تتفرع وتتشعب •• فتصير الامة الواحدة أمما يتفاوت البعد بينها بتفاوت الازمان والاحوال• وكل أمة من هذه ، تتشعب بتوالي الدهور الى أمم اخرى ، وهكذا الى غير حد •• وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام •

اللغة كائن حي

وينبع الاحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهــر الحياة او توابعها ، وخاصة ما يتعلق منها بأعمال العقل في الانسان ، كاللغة والعادات ، والديانات ، والشرائع ، والعلوم ، والآداب ، ونحوها •• فهذه تعد من ظواهر حياة الامة ، وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام • ولكل من هذه الظواهر تاريخ فلسفي طويل ، نعبر عنه بتاريخ تمدن الامة ، او تاريخ آدابها ، او علومها ، او حكومتها، او أديانها ، او نحو ذلك • وهي أبحاث شائقة فيها فلسفة ونظر •• ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وآدابها •

***

والبحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول :

اولا : النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مر عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ ، كتكوّن الافعال ، والاسماء ، والحروف ، وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك ، والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية ، وقد فصّلناه في كتابنا «الفلسفة اللغوية» •

ثانيا : النظر فيما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط اصحابها بالامم الاخرى ، فاكتسبت من لغاتهم ألفاظا وتعبيرات جديدة ،

كما يقتبس اهلها من عادات تلك الامم ، وأخلاقهم ، وآدابهم ، وما يرافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة ، وألفاظ جديدة •

ثالثا : النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم ، والآداب ، باختلاف العصور وهو «تاريخ آداب اللغة» • وهذا التقسيم تقريبي ، اذ لا تجد حدا فاصلا بين هذه الاقسام •

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الامة ، كالآداب ، او اللغة، او الشرائع ، او غيرها ، باعتبار ما مر بها من الاحوال في اثناء نموها ، وارتقائها . وتفرعها ، رأيتها تسير في نموها سيرا خفيا لا يشعر به المرء الا بعد انقضاء الزمن الطويل • ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة ، فتتغير الشؤون تغييرا ظاهرا •• وهو ما يعبرون عنه بالنهضة ، وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على أثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف ، او يكون سبب الاختلاط ظهور نبي ، او مشرّع ، او فيلسوف كبير ، او نبوغ قائد طموح يحمل الناس على الفتح والغزو ، او أمثال ذلك من اسباب الاختلاط •• فتتحاك الافكار ، وتتمازج الطباع ، فتتنوع العادات ، والاخلاق ، والاديان ، والآداب ، واللغة تابعة لكل ذلك •• بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير ، فتحتفظ بها قرونا بعد زوال تلك العادات ، او الآداب ، او الشرائع ، واذا تبدل شيء منها حفظت آثار تبدله ••

وسنقتصر في هذا البحث على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني ، وهو تاريخ ألفاظها وتراكيبها بعد تكونها •

ادوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغيير على الفاظها وتراكيبهـــا بعـد تكونها وارتقائها

اذا تدبرنا ما مر على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعـــد تكوّنها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الالفاظ وضروب التعبير، رأيناها قد مرت في ثمانية أدوار ، او عصور ، هي :

١ ـ العصر الجاهلي : وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير فـــي ألفاظها وتراكيبها قبل الاسلام .

٢ ـ العصر الاسلامي : أي أثر الاسلام في ألفاظ اللغة وتراكيبها .

٣ ـ الالفاظ الادارية في الدولة العربية .

٤ ـ الالفاظ العلمية في الدولة العربية .

٥ ـ الالفاظ الاجتماعية ونحوها .

٦ ـ الالفاظ النصرانية .

٧ ـ الالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم .

٨ ـ النهضة الحديثة .

العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مر على اللغة العربية قبل الاسلام ، ولا يمكن تعيين أوله لضياع ذلك في ثنيات الدهور التي مرت قبل زمن التاريخ .. ولكننا نعتقد ان اللغة العربية نشأت ونمت ، أي تميزت فيها الاسماء ، والافعال ، والحروف ، وتكونت فيها معظم الاشتقاقات ، والمزيدات ، وهي لا تزال في حجر أمها ، أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية ، والعبرانية ، والفينيقية ، وغيرها من اللغات السامية . وبعبارة اخرى ان أم هذه اللغات ، ويسمونها اللغة السامية او الآرامية تم نموّها ، فتكونت أفعالها ، وأسماؤها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومزيداتها قبل ان تشتت اهلها ، او نزحوا الى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختـــلاف احوالهم .. فتولدت منها اللغات السامية المعروفة . فالساميون الذين نزلوا جزيـــرة العرب ، تنوعت لغتهم تنوعا يناسب ما يحيط بهم من الاحـــوال ، او يجاورهم من الامم .. فتميزت عن أخواتها بأمور خاصة ، هي خصائص اللغة العربية . وتشعبت هذه اللغة في اثناء ذلك الى فروع يختلف بعضها

عن بعض باختلاف الاصقاع ، وهي لغات الحجاز ، واليمن ، والحبشة • وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى فروع ، باعتبار القبائل والبطون مما لا يمكن حصره •• كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ •

ويكفينا في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها ، وهي اللغة العربية التي وصلت الينا ، لقد كانت قبل تدوينها ــ أي قبل الاسلام ــ لغات عديدة تعرف بلغات القبائل ، وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب، كلغات تميم ، وربيعة ، ومضر ، وقيس ، وهذيل ، وقضاعة ، وغيرها • كما هو مشهور • وأقرب هذه اللغات شبها باللغة السامية الاصلية أبعدها عن الاختلاط ، وبعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى كأهل الحجاز مما يلي الشام ، وخاصة اهل مكة ، وبالاخص قريش ، فقد كانوا اهل تجارة وسفر شمالا الى الشام ، والعراق ، ومصر ، وجنوبا الى بلاد اليمن ، وشرقا الى خليج فارس وما وراءه ، وغربا الى بلاد الحبشة•

فضلا عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة ، وفيهم الهنود، والفرس ، والانباط ، واليمنية ، والاحباش ، والمصريون ، عدا الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى ، فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات ، والتراكيب ، مما لا مثيل له في اللغات الاخرى •

وزاد ذلك الاقتباس خاصة على أثر النهضة التي حدثت في القرنين الاول ، والثاني ، قبل الاسلام ، بنزول الحبشة ، والفرس في اليمن ، والحجاز ، على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن •• وكان يهوديا فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد ، وخاصة اهل نجران، فطلب اليهم اعتناق اليهودية •• فلما ابوا قتلهم حرقا وذبحا ، فاستنجد بعضهم بالحبشة •• فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حينا ، وأذلوا ملوكها أعواما • ثم أنف احد ملوكها ذو يزن ، فاستنجد

بالفرس على عهد كسرى أنوشروان ، فأنجده طمعا في الفتح .. فأخرج الاحباش من اليمن بعد ان ملكوها ٧٢ عاما ، وكانوا في اثناء ذلـــك يترددون الى الحجاز ، وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس ، فجاءوا مكة بأفيالهم ، ورجالهم ولم يفلحوا . واهتم اهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى أرخوا منه وهو عام الفيل . ولما فتح الفـــرس اليمن ، اقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا ، وكانوا يقدمون الى الحجاز وأهل الحجاز يترددون اليهم .

الألفاظ الأعجمية

فكان لهذه النهضة تأثير كبير في اللغة العربية ، فتكاثرت ألفاظهـــا ومشتقاتها ، فلما جمعوا اللغة بلغت صيغ أبنية الاسماء فقط بضع مئات، ثم صارت بعد ذلك ببضعة قرون الف ومائتين وعشرة أمثلة .. ناهيك بما دخلها من الالفاظ الغريبة وما اقتبسه من التراكيب الاجنبية ، ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز اصله .. على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو أخواتها من أمثال تلك الالفاظ . فاذا رأينا لفظا في العربية لم نر له شبيها في العبرانية ، او الكلدانية ، او الحبشية ، ترجح عندنا انه دخيل فيها . وأكثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير ، او الادوات ، او المصنوعات ، او المعادن ، او نحوها ، مما يحمل الى بلاد العرب من بـــلاد الفرس ، او الروم ، او الهند ، او غيرها .. ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ، او في أسماء بعض المصطلحات الدينية ، او الادبية ، وأكثر ذلك منقول عن العبرانية ، او الحبشية ، لان اليهود والاحباش من اهل الكتاب .

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس اكثر مما اقتبسوا من سواها ، ولذلك رأينا أئمة اللغة اذا أشكل عليهم أصل بعض الالفاظ

الاعجمية عدوها فارسية ، ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية : الكوز ، الجرة ، الابريق ، الطشت ، الخوان ، الطبق ، القصعة ، السكرجة ، السور ، السنجاب ، الفاقم ، الفنك ، الداق ، الخز ، الديباج ، التاخنج ، السندس ، الياقوت ، الفيروزج ، البللور ، الكعك ، الدرمك ، الجردق ، السميد ، السكباج، الزبرباج ، الاسفيذاج، الطباهج ، الفالوذج ، اللوزينج ، الجوزينج ، البغرينج ، الجلاب ، السكنجبين ، الخلنجبين ، الدارصيني ، الفلفل ، الكراويا ، الزنجبيل ، الخولنجان ، القرفة ، النرجس ، البنفسج ، النسرين ، الخيري ، السوسن ، المرزنجوش ، الياسمين ، الجلنار ، المسك ، العنبر ، الكافور، الصندل ، القرنفل» اهـ • وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سنرى •

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية : الفردوس ، والقسطاس ، والبطاقة ، والقرسطون ، والقبان ، والاصطرلاب ، والقسطل ، والقنطار، والبطريق ، والترياق ، والقنطرة ، وغيرها كثير •

وأما ما نقلوه عن الحبشية ، فأكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ، ولأن الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما • والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة : كفلين ، والمشكاة، والهرج •• لكننا لا نشك في انهم اقتبسوا كثيرا غيرها ، وخاصة ما يتعلق منها بالاصطلاحات الدينية •

من ذلك قولهم «المنبر» وهو عند العرب «مكان مرتفع في الجامع او الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ» وقد شقه صاحب القاموس من «نبر» أي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف • وعندنا انه معرب «ومبر» في الحبشية أي كرسي او مجلس او عرش •

ومن هذا القبيل لفظ «النفاق» وهو عند العرب «ستر الكفر في

القلب واظهار الايمان» وقد شقوه من «نفق» راج او رغب فيه ، وليس بين المعنيين تناسب ، واضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا : «ومنه اشتقاق المنافق في الدين» وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان «نفاق» في الحبشية معناها الهرتقة ، او البدعة ، او الضلال في الدين . وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشية بدخول النصرانية فيها .

وكذلك لفظ «الحواري» شقه صاحب القاموس من «حار» بمعنى البياض ، وقال في معنى الحواري انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم او لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، والاظهر ان هذه اللفظة معرب «حواري» في الحبشية ، ومعناها فيها «الرسول» وهو المعنى المراد بها في العربية تماما .

وكذلك «برهان» وقد شقها صاحب القاموس من «برهن» وشقها غيره من «بره» بمعنى القطع وأن النون زائدة فيها ، وهي في الحبشية «برهان» أي النور ، او الايضاح ، مشتقة من «بره» عندهم أي اتضح او أنار .

وقس على ذلك كثيرا من أمثاله ، كالمصحف ، فانه حبشي من «صحف» أي كتب ، والمصحف الكتاب . ناهيك بأسماء الحيوانات ، او النباتات ، او نحوها . فان «عنبسة» من أسماء الاسد عند العرب ، وهي اسم الاسد بالحبشية .

وقد اخذوا عن العبرانية كثيرا من الالفاظ الدينية : كالحج ، والكاهن ، والعاشوراء ، وغيرها ، وأكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان ، ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة .

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيرا من الالفاظ السنسكريتية ممن كان

يخالطهم من الهنود في اثناء السفر للتجارة ، او الحج ، لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب •• فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر ، او الشام ، او المغرب ، كانت تمر ببلاد العرب ، ويكون للعرب في حملها او ترويجها شأن • وقد عثرنا في السنسكريتية على ألفاظ تشبه ألفاظا عربية ، تغلب ان تكون سنسكريتية الاصل لخلو أخوات العربية من أمثالها كقولهم «صبح» و «بهاء» فانهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماما ، ويدلان على الاشراق او الاضاءة • ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمن مديد • ونظن لفظ «سفينة» سنسكريتي الاصل ايضا ، وكذلك «ضياء» •• ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك •

على اننا نرجح ان العرب اخذوا عن الهنود كثيرا من المصطلحات التجارية وأسماء السفن وأدواتها ، وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير، والطيب مما يحمل من بلاد الهند •• والعرب يعدونها عربية ، او يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلا : كالمسك مثلا ، فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسيا ، وهكذا يقول صاحب القاموس • وهو في الحقيقة سنسكريتي، ولفظه فيها «مشكا» وذكروا «الكافور» بين الالفاظ الفارسية وهو هندي على لغة اهل ملقا ولفظه عندهم «كابور» • وقد ذكروا ايضا ان القرنفل فارسي ، والغالب عندنا انه سنسكريتي لان أصله من الهند وقس عليه •

القاعدة في تعيين اصول الالفاظ الاعجمية

وتعيين اصل اللفظ لالحاقه باللغة المأخوذ منها يحتاج الى نظر لا يكفي

فيه المشابهة اللفظية ، اذ كثيرا ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة ، وانما يقع ذلك على سبيل النوادر بالاتفاق .. الا اذا دلت القرائن على انتقال احداهما من لغة الى اخرى وساعد الاشتقاق على ذلك .

فاذا اتفق لفظان متقاربان لفظا ومعنى في لغتين ، وكان بين اهل تينك اللغتين علاقات متبادلة من تجارة ، او صناعة ، او سياسة ، فاز لنا الظن ان احداهما اقتبست من الاخرى .. فاذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحاصيل ، او المصنوعات ، او الادوات ، فيرجح لحاقه باللغة السابقة الى ذلك ، كلفظ «المسك» مثلا فانه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها .. فاذا عرفنا ان المسك يحمل الى العالم من تونكين ، وتيبت ، ونيبال ، والصين ، وان الهنود القدماء كانوا يحملون الطيب الى الامم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ، ترجح عندنا ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن الهنود ، كما اخذها الفرس منهم ، او لعلها انتقلت الى الفارسية من العربية .. لان الفرس يعدونها عربية ، كما يعدها العرب فارسية .. او هي في الفارسية باعتبار انها فرع من السنسكريتية كما هي في الانجليزية بطريق التفرع ، وكما هي في اللاتينية لانها أخت السنسكريتية ، ومن اللاتينية انتقلت الى الفرنسية لانها فرع من اللاتينية .

ويقال نحو ذلك في «كافور» فان العرب يعدونها فارسية ، والفرس يقولون انها عربية .. وهي موجودة ايضا في السنسكريتية ، واللاتينية ، وفروعهما .. فبأيها نلحقها ؟

في مثل هذه الحال ، يجب البحث في مصدر الكافور .. فاذا علمنا انه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا ، وأن اسمه باللغة الملقية «كابور» ترجح عندنا انه ملقي الاصل . وكذلك «الزنجبيل» ــ الجذور

المعروفة ــ فان العرب يقولون انها تعريب «شنكبيل» في الفارسية ، والفرس يقولون انها عربية •• ولم نجد «شنكبيل» في القاموس الفارسي • واذا بحثنا عن اسم هذا العقار في اللغات الاخرى ، رأينا أسمه في اليونانية «زنجباريس» وفي اللاتينية «زنجبار» فأول ما يتبادر الى الذهن انه من «زنجبار» البلد المعروف ، وانه سمي بذلك لانه كان يحمل منه او لسبب آخر •• فاذا رجعنا الى منبت هذا العقار ، رأيناه هنديا •• ورأينا اسمه في اللغة السنسكريتية «زرنجابيرا» مشتقه من «كرينجا» او «زرنجا» أي القرن ، لمشابهة جذوره به •• فيترجح عندنا انه سنسكريتي الاصل •

ومن هذا القبيل «الفلفل» فان العرب يقولون انه فارسي ، والفرس يقولون انه عربي •• وهو موجود ايضا بشل هذا اللفظ في الانجليزية، والالمانية ، واللاتينية ، ويوجد ايضا في السنسكريتية ، ويلفظ فيها «بلا» او «فيفالا» ولما كان الفلفل من محاصيل الهند ، وأجوده يرد من مالابار، نرجح ان هذه اللفظة سنسكريتية الاصل • ومعنى «ببالا» عندهم ايضا «التينة المقدسة» •

ويقال عكس ذلك في الالفاظ الدالة على محاصيل بلاد العرب او حيواناتها ، كالقهوة مثلا •• فانها موجودة في الفارسية وفي كل لغات اوربا ، فالارجح انها عربية الاصل لان هذه اللفظة كانت عند العرب قبل اصطناع القهوة اسما من أسماء الخمر •• فأطلقوها على قهوة البن • ومثل ذلك أسماء الجمل ، والزرافة ، والغزال ، وغيرها من أسماء الحيوانات العربية •• وربما كان بعضها مأخوذا في الاصل من لغة غير عربية •

واذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات ، فالحاقها بأصحاب تلك الصناعة من الامتين اولى •• فقد اختلط العرب بالفرس

وخاصة بعد الاسلام ، وأخذوا منهم كثيرا من الملابس والانسجة ، ولم ينقلوها الى لسانهم •• بل عربوها وأبقوها على ما هي ، كالسراويل ، والقباء (ومنها الجبة) والتبان ، والجورب ، والديباج ، والارجوان ، والسرموج ، والقفطان ، والطربوش ، والبابوج •• كما فعل اهل هذا العصر بأسماء الملابس الافرنجية التي اقتبسوها من الافرنج في تمدنهم الاخير ، كالبنطلون ، والجاكت ، واللستيك . وغيرها ••

***

واقتبس العرب من الفرس كثيرا من ألوان الاطعمة ، وأنواع الاسلحة والفرش والادوات ، وأبقوها على لفظها الاعجمي •• وهي كثيرة ، يضيق هذا المقام عن ذكرها ، ومنها الجلاب ، والجلنار ، والبنفسج ، والخشاف، والخوذة ، والدسكرة ، والدولاب ، والدهقان، والسرجين ، والسرداب، والطنبور ، والفرسخ ، وغيرها كثير •• فالحاقها بلغاتها الاصلية ، يسوغه اولا التاريخ لانه يدلنا على ان العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس ، فاذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوي ، كان الدليل أثبت •• مثل «جلاب» فانها مؤلفة في الاصل الفارسي من «كل آب» أي ماء الزهر • و«خشاف» من «خوش آب» و «سرداب» من «سرد آب» او «سردابه» بيت الثلج من «سرد» أي بارد و «آب» ماء والطربوش من «سربوش» أي غطاء الرأس • والبابوج من «بابوش» أي غطاء القدم •

وكثيرا ما يكفي الاشتقاق اللغوي وحده في معرفة اصل اللفظة ، بشرط ملاحظة مقابلة اللغات •• فاذا وجدنا لفظة في العربية ، ومثلها في الفارسية او اللاتينية او اليونانية مثلا ، ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة اصلها ، عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها ، فاذا لم يكن لها مجانس في

أخوات العربية ، وكان لها ذلك في أخوات الفارسية او اللاتينيـــة او اليونانية . نرجح انها من احدى هذه اللغات مثل «البلاط» بمعنى «قصر الملك» فقد عدها العرب عربية ؛ وشقوها من البلاط المعروف لان القصور تفرش به • ولكن هذه اللفظة في اللاتينية Palaffum ومعناها قصر الملك • فاذا ادعى مدع انها عربية الاصل . وان الرومان اقتبسوها من العرب . قلنا ان الرومان يرجعون بأصلها الى تل كان في رومية بهذا الاسم ؛ نزل عليه أوغسطس قيصر وأقام فيه ، فسمي قصره به •• واذا أعجزنا الدليل التاريخي . عمدنا الـــى الاشتقاق •• فان Pala في السنسكريتية معناها الحامي او المدافع . وكان الملوك القدماء انمـــا يبنون القصور للتحصن بها ••

وقد لا يهدينا التاريخ مطلقا كما في لفظ «جاموس» فان التاريخ لا يساعدنا على معرفة اصلها . هل هي عربية او فارسية . فاذا رجعنا الـــى الاشتقاق لم نر لها اشتقاقا في العربية . اما في الفارسية فانها مركبة من لفظين «كاو» ثور او بقرة و «ميش» كبش . ولكن الجاموس هنـــدي الاصل •• ومعنى «جاوميشا» في السنسكريتية «البقرة الكاذبة» •

عـــود

وبالجملة فقد دخل العربية ألفاظ كثيرة من معظم اللغات التي كانت شائعة في التاريخ القديم ، ممن خالط العـــــرب كالمصريين القدماء ؛ والحثيين ؛ والفينيقيين ، والكلدان ، والهنود ؛ والفرس •• حتى الزنوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكنا لتقادم عهده واختـــلاف شكلـــه •

ومن أمثلة ما اخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية لفـــظ

«قبس» بمعنى الشعلة : فهي في الهيروغليفية «خبس» ومعناها مصباح •
وبعض تلك الاقتباسات اخذها العرب رأسا عن اصحابها ، والبعض الآخر حملت اليهم على يد الامم الاخرى ، كما نقل لهم اليهود لفظ «نبي» من اللغة المصرية القديمة «الهيروغليفية» وأصل معناه فيها «رئيس العائلة» او «رب المنزل» •

وكما نقل لهم الفرس «الشطرنج» عن اللغة الهندية السنسكريتية ، فحسبها العرب فارسية •• وقالوا انها تعريب «شترنك» بالفارسية ، ومعناها ستة ألوان ولعلهم يريدون «تشرنت» ـ والصواب انها لعبة هندية قديمة . كانت تسمى في اللغة السنسكريتية «شتورنكـــا» أي الاجزاء الاربعة التي تتألف منها الجند عندهم •• وهي الافراس، والافيال، والمركبات . والمشاة •• فأخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد، ثم اخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية . وتكلفوا في تعليلهـــا كما رأيت •

ولم يقتصر العرب على اقتباس الالفاظ من اللغات الاخرى واستبقائها على حالها . ولكنهم صرفوها وشقوا منها الافعال ، ونوعوا معناها على ما اقتضته احوالهم •• فقد شقوا من لفظ النبي : «نبأ» و «تنبأ» و «نابأ» •
وشقوا من قبس أفعالا وأسماء عديدة •

ومن هذا القبيل «اللجام» وهو من «لكام» في الفارسية . فشقوا منه اولا «ألجم الدابة» ألبسها اللجام و «التجمت الدابة» مطاوع ألجم • وجمعوا لجام على لجم وألجمه . ثم استخدموه مجازا فقالوا : «لجمه الماء» أي بلغ فاه ، وقالوا «لفظ لجامه» أي انصرف من حاجته مجهودا مـــن الاعياء والعطش •• وقولهم «التقي ملجم» ارادوا به انه مقيَّد اللسان والكف •

والمهر الخاتم في الفارسية . استعاره العرب وبنوا منه فعلا ، فقالوا:

مهر الكتاب أي ختمه بالمهر •

ومن ذلك ما شقوه من لفظ «ديوان» وهي أعجمية فقالوا : «دوّن» أي كتب اسمه في الجندية •

وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ الدخيلة التي يعتقد العرب انها عربية ، وقد شقوا منها الافعال والاسماء مثل «سراب» وهي تعريب «سيرآب» في الفارسية أي مملوء ما • والزمهرير من «زم اريز» بالفارسية أي ضباب بارد • وجزاف من «كزاف» بالفارسية أي العبث من الكلام• والضنك من «تنك» في الفارسية ضيق ، وقد شقوا منها أفعالا وأسماء ترجع الى هذا المعنى •

ثم ان اكثر ما ادخله العرب الى لغتهم من الالفاظ الاجنبية ، لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم على ان كثيرا منه كانت له عندهم أسماء مشهورة •• لا يبعد ان يكون بعضها دخيلا ايضا ، فغلب استعمال الدخيل الجديد وأهمل القديم • من ذلك ان العرب كانوا يسمون الابريق «تامورة» والطاجن «مقلي» والهاوون «منحاز» او «مهراس» والميزاب «مثقب» والسكرجة «الثقوة» والمسك «المشموم» والجاسوس «الناطس» والتوأت «الفرصاد» والاترج «المتك» والكوسج «الاثط» والباذنجان «الانب» والرصاص «الصرفان» والخيار «القتد» •• فهذه الاسماء وأمثالها ، أهملها العرب قبل الاسلام ، بعد ان استبدلوها بأسماء دخيلة•• فعلوا ذلك عفوا بلا تواطؤ او قصد ، وانما هو ناموس النمو يقضي عليهم بذلك •

التغيير في الألفاظ

دكرنا فيما تقدم أمثلة مما دخل اللغة العربية من الالفاظ الاجنبية قبل زمن التاريخ الذي عبرنا عنه بالعصر الجاهلي •• ونذكر الان ما لحق ألفاظها الاصلية من التنوع والتفرع في ذلك العصر • والادلة على ذلك كثيرة ، نكتفي منها بالواضح الصريح •• فنذكر اولا ما نستدل عليه من مقابلة العربية بأخواتها العبرانية والسريانية ، ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها •

مقابلة العربية باخواتها

من الحقائق المقررة ، ان العربية والعبرانية والسريانية ، كانت في قديم الزمان لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق، والحجاز ، في صدر الاسلام • فلما تفرق الشعب السامي ، اخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة •• أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية •• كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز،

وغيرها • ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ، أبعد مما بين فروع اللغة العربية ، لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة • فاذا راجعت الالفـــاظ السامية المشتركة في العربية وأخواتها ، رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الاخرى • والادلة على ذلك لا تحصى ، اذ لا تخلو المعجمات من شاهد او غير شاهد في كل صفحة من صفحاتها •• فنكتفي بالاشارة الى بعضها على سبيل المثال ••

فلفظ «الشتاء» في العربية مثلا هو أصل مادة «شتاء» في القاموس، وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها الى معنى الشتاء (الفصـــل المعروف) • فقالوا : شتا في المكان ، اقام فيه شتاء ، وشتا فلان دخل في الشتاء • وأشتى القوم اشتاءً أجدبوا في الشتاء •• الخ •

ولم يدلنا صاحب القاموس على أصل هذا المعنى في هذا اللفظ ، ولكنه أورد رأي المبرّد في ذلك ، فقال ان الشتاء «جمع شتوة» وان الشتوة «الغبراء التي تهب فيها الرياح والارض يابسة فيهيج الغبار» وفي قوله تكلف •• على اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغات السامية ، رأينا الاصل في دلالتها «الشرب» او «الري» او «الصب» فهي كذلك فـــي العبرانية والسريانية الى اليوم • وقد شقوا منها الافعال والاسماء لمعان كثيرة ترجع الى الري ونحوه •• الا فصل الشتاء فانهم شقوا له كلمة من اصل آخر يقرب منه لفظا • ويؤخذ من مراجعات كثيرة ان المادة الاصلية (شتا) كانت تدل على الرطوبة او الري في اللغة السامية ، فلما تفرقت القبائل كما تقدم ، تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الاحوال ، فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية ، وأهمل معنى الشرب او الري منها • ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هذه اللفظة في أخوات العربية ، لرأيتها تختلف الواحدة عما في الاخرى •

واذا بحثنا عن لفظ «شهر» في العربية بالمقابلة مع أخواتها ، رأينـــا

الاصل فيه الدلالة على الاستدارة ، ثم سموا القمر به لانه مستدير ، ثم أطلقه العرب على الشهر لانهم كانوا يوقتون بالقمر • على ان دلالته على القمر لا تزال باقية في العربية الى اليوم ، وكذلك في السريانية (سهرا) تدل عندهم على الشهر والقمر • وأما العبرانية فان للقمر فيها لفظا مشتقا من مادة اخرى هي (يرَح) والاصل في معناها «الدوران» فاشتقوا منها «يارح» للدلالة على القمر وعلى الشهر • ومن هذه المادة في العربيـــة «رواح» أي العشي • فكانوا يقولون : «راح فلان» أي جاء او ذهب في العشي •• أي ان اصل المعنى راجع الى «العشي» بغير تقييد بالذهاب او المجيء مثل قولهم : اصبح وأمسى •• ثم غلبت فيها الدلالة علـــى الذهاب في العشي ، ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب •• حدث كل ذلك التنوع بلا قصد ولا تواطؤ •

ومن بقايا «يرَح» في العربية ، مادة أشكل على أئمة اللغة معرفة اصلهـــا . فعدَّهـــا بعضهم فارسيـــة وعدّهـــا آخـــرون يونانيـــة . واكتفى غيرهم بأنها غـــير عربيـــة • وهـــي في الحقيقة سامية الاصل ، نعني بها لفظ «آرخ» او «ورَخ» او «أرَّخ» بمعنى وقّت ، والأظهر عندنا انها من بقايا اسم الشهر عندهم «يـــرح» ــ والابدال بين الخاء والحاء هيّن ــ ومنه «التاريخ» تعريف الوقت ، ثم تنوع معنى هذه اللفظة ، فصاروا يدلون بها على علم التاريخ ، أي ذكر الوقائع والحوادث •

ومن هذا القبيل «كتب» فان الاصل في دلالتها «حفر في الحجر ، او الخشب» فالظاهر انهم استعملوها في اول عهدهم بالكتابة ، وكانـــوا يكتبون على الحجارة او الخشب حفرا او نحتا ، شأن الكتابة عند الامم القديمة • فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق او الاقمشة ، تحوّل معناها الى الكتابة المعروفة ، ولم يبق لدلالتها على الحفر أثر في العربية ، وان كنا نرى أثر ذلك في «قطب» ونحوها من تفرعات «قط» حكايـــة

صوت القطع • فيلوح لنا ان الاصل في دلالة كتب (او قطب) على الحفر، انهم كانوا يقولون مثلا «قط بالخشب» أي قطع في الخشب او حفر الخشب ، ثم ألصقوا الباء بالفعل فصار «كتب» او «قطب» كما ألصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجيء، فبدلا من ان يقولوا «جاء به» قالوا «جابه» وصرفوه فقالوا «يجيبه ، وجابوه ، ويجيبوه» بدلا من «يجيء به، وجاءوا به ، ويجيئون به ••»

ومثل «كتب» ايضا «سطر» فانها كانت تدل في الاصل على الحفر، ثم تحوّل معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه • ولا تزال «سطر» تدل على الحفر ايضا في العبرانية ، وأما في العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك في لفظ مجانس لها هو «شطر» او نحوها •

وكثيرا ما تحوّل المعنى في بعض الالفاظ بانتقاله مر الكل الى الجزء، او من الصفة الى الموصوف مثل «اللحم» في العربية ، فان معناها في اللغات السامية «الطعام» على اجماله ، ثم خصصه العرب بالدلالة على أهم الاطعمة عندهم وهو اللحم ، وصار في السريانية يدل على الخبز •

والاصل في «طبخ» الدلالة على «الذبح» واللفظان متشابهان ، فتحوّل معناها في العربية الى معالجة اللحم للطعام ، واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظا •

و «الملح» اصل دلالته في اللغات السامية كلها من «ملح او ملأ» أي نبع الماء • ثم تحوّل معناها الى اكبر مستودعات الماء وهو «البحر» • ونظرا لظهور الملوحة في مياه البحر اكثر من سائر صفاتها ، ولان الملح يستخرج منها سمّوا الملح بها • والظاهر ان هذه اللفظة كانت في أمهات اللغات السامية والآرية قبل تفرقها •• فان اسم البحر في اليونانية يشبه ان يكون مبدلا من «ملح» او ان تكون ملح مبدلة منه ، وكذلك في اللغة السنسكريتية •

و «انبو» كانت تدل في اللغة السامية الاصلية على «الثمر» عموما ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الاشورية ، والآرامية • اما في العبرانية فقد أدغمت النون في الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت (آبه) بتشديد الباء ، عملا بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية •• ثم شقوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا (ابب) بمعنى أثمر ، وآما في السريانية فقد اصاب هذه اللفظة نفس ما اصابها في العبرانية : وصارت (ابا) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ، والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ، والرمان • وأما في العربية ، فقد حدث نحو ذلك : ولكن «الأب» صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى او ما أنبتت الارض وقالوا : «الاب للبهائم كالفاكهة للناس » •

***

ونحولت «انبو» ايضا بالابدال الى «عنبو» ومنها «عنب» للدلالة على نوع واحد من الاثمار هو ثمر الكرم ، وهذه دلالتها الان في اللغات العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، بعد ان كانت تدل في أقدم أزمانها على الثمر عموما •

ويقال نحو ذلك في «عبَد» فانها في اللغات السامية تدل على العمل، وخاصة الحرث في الحقل ، ولم يبق من مشتقات «عبَد» في العربية ما يدل على معناها الاصلي الا «المعبدة» أي «المجرفة» او «المحراث» • وفيما خلال ذلك فان عبَد ومشتقاتها انما تدل على العبادة ، ومنها «العبد» أي الرق و «التعبّد» لان خدمة الحقول كان اكثرهم من الأرقاء • ولما كان اكثر الارقاء من الزنوج ، دل المولّدون بلفظ العبد على الزنوج السود خاصة •

ومن هذا القبيل «الثلج» والاصل فيه الدلالة على البياض ، ثم أطلق

على أشهر المواد البيضاء ٠

وكذلك «مرءٌ» فان اصل دلالتها في اللغات السامية على القوة ، ومنها الى ارئاسة ، ومنها الى اقوى الكائنات وهو الانسان ٠ ولا تزال في السريانية تدل على الرب فقط ، وهي عندهم (مرا) او «مريا» أما في العربية فغلبت فيها الدلالة على الرجل ٠ وأما العبرانية ، والسريانية ، فللدلالة على الرجل فيهما ألفاظ اخرى ترجع في اصل معناها الى القوة ٠ وكأن هذا اللفظ قديم مشترك في أمهات اللغات فانه في اللاتينية Vir ونحوه في الهندية ٠

***

ولهذا السبب استعمل العرب «بعل» للزوج ، وهو يدل في الاصل على السيد او الرب ٠٠ ومنه البعل اكبر آلهة الشعوب السامية ، ومنها «هبل» كبير أصنام الكعبة ٠٠ ويظهر من مراجعة أمهات اللغات الآرية ان هذا اللفظ انتقل منها الى اللغات السامية قبل تفرق شعوبها لانه في السنسكريتية «بالا» القوة ، وفي اللاتينية Val - ere قوي ٠٠ او لعل الآريين نقلوه عن الساميين ، او كان في اللغة الاصلية قبل افتراق الآريين عن الساميين ٠

ومن أمثلة ما فقد اصله من الالفاظ السامية في اللغة العربية وبقي فرعه لفظ «الشعر» بمعنى المنظوم ٠٠ فقد شقه صاحب القاموس من «شعر الرجل» بمعنى فطن وأحس ، فقال : «وسمي الشاعر شاعرا لفطنته وشعوره» ويلوح لنا من خلال هذا التعليل تسامح لا يرتاح اليه العقل٠ والاظهر عندنا ان «الشعر» مشتق من اصل آخر فيه معنى الغناء او الانشاد او الترتيل ، فقد من العربية وبقي في بعض أخواتها ٠٠ ففي العبرانية أصلٌ فعليٌّ لفظه (شور) ومعناه صات او غني او رتل ، ومن

مشتقاته (شير) قصيدة او أنشودة ، وبها سمي نشيد الأناشيد في التوراة ، وأمثاله من القصائد او الاناشيد التي رتلها اليهود في أسفارهم او حروبهم • واليهود أقدم اشتغالا بالنظم من العرب •• فالظاهر ان العرب اخذوا عنهم كلمة «شير» للقصيدة او الانشودة ، كما اخذوا غيرها من أسماء الآداب الدينية والاخلاقية ، وأبدلوا باءها عينا على عادتهم في كثير من أمثال هذا الابدال •• فصارت «شعر» ، أطلقوها على الشعر باجماله • فلما جمعت اللغة عدوا هذا اللفظ من مشتقات «شعر» • وأما اصل مادة «شور» فقد ذهب من العربية • والقياس في مقابلة الالفاظ بين العربية والعبرانية، يقضي ان تلفظ هذه الكلمة في العربية «سور» بالسين ولا نجد في هذه المادة عندنا ما يماثل هذا المعنى ، الا اذا اعتبرنا تسمية فصول القرآن سورا واحدتها «سورة» فيكون المراد بها الانشودة او الترتيلة من قبيل التجويد •

ومن أمثلة تنوع المعاني ان لفظ «الورق» في العربية أصله من «يرق» اخضر ، ومنه ورق الشجر لاخضراره ، ولا يزال من هذه المادة في العربية «اليرقان» للمرض المعروف وهو اخضرار الجلد او اصفراره • وقد شقه صاحب القاموس من «ارق» •

وقس على ذلك مئات من الامثلة ، تشهد على ما لحق ألفاظ اللغة العربية من تنوع معانيها ومدلولاتها قبل زمن التاريخ ، باعتبار مقابلتها بألفاظ أخواتها السامية •

اللغة العربية وحدها

على اننا لو اقتصرنا على مراجعة المعجمات العربية وحدها ، لاتضح لنا هذا الناموس بأجلى بيان .. اذ نرى للمادة الواحدة او اللفظ الواحد عدة معان متفرعة من معنى واحد ، ثم يتنوع المعنى على مقتضيـــــات الاحوال . ولا نحتاج في اثبات ذلك الى ايراد الشواهد لانه بديهي ، وانما يحسن بنا ان نشير الى اسباب ذلك التنوع وهي كثيرة ، وقد ذكرنا بعضها فيما تقدم من الكلام في مقابلة الالفاظ العربية بألفاظ أخواتها ، كاشتقاق معنى الملح من البحر ، ومعنى الثلج من البياض ، وغير ذلك مما بينه تناسب في المعنى . وقد تكتسب الكلمة معنى جديدا من عادة او عقيدة ، مثل قولهم : «بنى على اهله او بأهله» بمعنى تزوج . وليس في أصل فعل البناء هذا المعنى ، وانما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب ، وهي ان الداخل بأهله كان يضرب عليها قبة ليلة الزفاف . ومن هذا القبيل تحوّل معنى القمر الى الشهر ، لانهم كانوا يوقتون بالقمر .

ومن اسباب زيادة النمو في اللغة العربية غير النحت والابدال والقلب، التصحيف وهو التبادل بين الحروف المتشابهة شكلا كالباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، والياء ، او الجيم ، والحاء ، والخـــاء ، او الدال ،

والذال ، او الراء والزاي ، او السين والشين . وقس عليه ..

فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف ، قولهم رجل صلب وصلت ، والدبر والدير ، والكرت والكرب ، ورغات ورغاب ، والجلجلة والحلحلة ، وجاض وحاص ، والنافجة والنافحة ، وهو كثير .. وقد ذكر منه علماء اللغة مئات . والغالب ان ذلك التصحيف لم يحدث الا بعد تدوين اللغة ، لانه خطأ بقراءة الخطوط .

ومما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ، ورود الالفاظ الكثيرة للمعنى الواحد .. فعندهم للسنة ٢٤ اسما ، وللنور ٢١ اسما ، وللظلام ٥٢ اسما ، وللشمس ٢٩ اسما ، وللسحاب ٥٠ اسما ، وللمطر ٨٤ اسما ، وللبئر ٨٨ اسما ، وللماء ١٧٠ اسما ، وللبن ١٢ اسما ، وللعسل نحو ذلك ، وللخمر مائة اسم ، وللاسد ٣٥٠ اسما ، وللحية مائة اسم ، ومثل ذلك للجمل . أما الناقة فأسماؤها ٢٥٥ اسما .. وقس على ذلك أسماء : الثور ، والفرس ، والحمار ، وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب ، وأسماء الاسلحة : كالسيف ، والرمح ، وغيرهما . ناهيك بترادف الصفات ، فعندهم للطويل ٩١ لفظا ، وللقصير ١٦٠ لفظا، ونحو ذلك للشجاع ، والكريم ، والبخيل ، مما يضيق المقام عن استيفائه .

ومن خصائص اللغة العربية أسماء الاضداد ، فان فيها مئات من الالفاظ يدل كل منهما على معنيين متضادين : مثل قولهم «قعد» للقيام والجلوس و «نضح» للعطش والري و «ذاب» للسيولة والجمود و «أفسد» للاسراع والابطاء و «اقوى» للافتقار او الاستغناء .

ومن خصائصها ايضا ، دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة .. فمن ألفاظها نيف ومائتا لفظ يدل كل منها على ثلاثة معان .. ونيف ومائة لفظ يدل الواحد منها على اربعة ، وكذلك التي تدل على خمسة معان . وقس على ذلك ما يدل على ستة معان ، فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة

وعشرين معنى ، كالحميم ، والفن ، والطيس • ومما تزيد مدلولاته على ذلك «الخال» فانها تدل على ٢٧ معنى ، وللفظ «العين» ٣٥ معنى ، وللفظ «العجوز» ٦٠ معنى •

فتكاثر المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة، لا يحدث الا من تفرع ألفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وتكاثر الدخيل • وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مائة اسم او مائتان الا بتوالي الاجيال •• وأحدث تلك الالفاظ اكثرها استعمالا ، وأقدمها أقربها الى الاهمال •

الألفاظ الاسلامية

العصر الاسلامي ..

نريد بالعصر الاسلامي في صدد اللغة العربية ، الزمن الذي مر باللغة بعد ظهور الاسلام ، حتى كتبت العلوم الاسلامية : كالتفسير ، والحديث، وسائر العلوم الشرعية واللغوية ونحوها ، الى عصر النهضة العباسية . ولا مشاحة في ان الاسلام ، أثر في اللغة تأثيرا كبيرا ، كان تابعا لتأثيره في العادات والآداب والاعتقادات ..

ويدخل في ذلك ما طرأ على اللغة من الاصطلاحات الدينية ، والفقهية، واللغوية ، والادبية ، وما دخلها من الالفاظ الادارية على أثر انشـــــاء الحكومة ودوائرها وفروعها ، ثم الالفاظ العلمية ، والفلسفية ، بترجمة كتب اليونان ، والفرس ، والهنود ، الى العربية ..

ولذلك قسمنا الكلام في العصر الاسلامي الى ثلاثة فصول : نقتصر في هذا الفصل على ما دخل اللغة العربية من التغيير بسبب العلـــــوم الاسلامية وهو ما عبرنا عنه بالالفاظ الاسلامية ، ونفرد لكل من التغييرات الادارية والاجنبية فصلا خاصا .

فتأثير العلوم الاسلامية على اللغة ، يكاد يكون محصورا في تنويع الالفاظ العربية وتغيير معانيها للتعبير عما أحدثه الاسلام من المعاني الجديدة ، بلا ادخال ألفاظ أعجمية الا نادرا •

١ ـ الاصطلاحات الشرعية والفقهية

وأشهر ما حدث من التنوعات في الالفاظ العربية في العصر الاسلامي، المصطلحات الدينية ، والشرعية ، والفقهية ، واللغوية •• وكانت ألفاظها موجودة قبل الاسلام ، ولكنها كانت تدل على معان اخرى ، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة • فلفظ «المؤمن» مثلا كان معروفا في الجاهلية ، ولكنه كان يدل عندهم على الامان ، او الايمان وهو التصديق ، فأصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر ، وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل •• وكذلك المسلم ، والكافر، والفاسق ، ونحوه • ومما حدث من المصطلحات الشرعية الصلاة ، وأصلها في العربية الدعاء ، وكذلك الركوع ، والسجود ، والحج ، والزكاة ، والنكاح ، فقد كان لهذه الالفاظ وأشباهها معان تبدلت بالاسلام وتنوعت •

وقس على ذلك في الاصطلاحات الفقهية •• كالابلاء ، والظهار ، والعدة ، والحضانة ، والنفقة ، والاعتاق ، والاستيلاء ، والتعزير ، واللقيط ، والآبق ، والوديعة ، والعارية ، والشفعة ، والمناسخة ، والفرائض ، والقسامة ، وغيرها ••

٢ ـ الاصطلاحات اللغوية

ويقال نحو ذلك في الاصطلاحات اللغوية التي اقتضتها العلوم

اللغوية •• كالنحو ، والعروض ، والشعر ، والاعـــراب ، والادغام ، والاعلال ، والحقيقة ، والمجاز ، والنقض ، والمنع ، والقلب ، والرفع ، والنصب ، والخفض ، والمديد ، والطويل ، وغيرها من أسماء البحـــور وضروب الاعراب والتصريف ، وهي كثيرة جدا ولها فروع واشتقاقات•• حتى لقد اصبح للفظ الواحد معنى فقهي ، وآخر لغوي ، وآخـــــر عروضي ، وآخر ديني ، مما لا يسكن حصره • وسنذكر أمثلة اخرى عند الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام •

وأحدث الاسلام تغييرا كبيرا في اساليب التعبير ، كقولهم : «أطال الله بقاءك» فان أول من قالها عمر بن الخطاب لعلي بن ابي طالب •

٣ ـ الالفاظ المهملة

وكما أحدث الاسلام ألفاظا جديدة للتعبير عن معان جديدة ، اقتضاها الشرع الجديد والعلم الجديد •• فقد محا من اللغة ألفاظا قديمة ، ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم •• منها قولهم : «المرباع» وهو ربع الغنيمة الدي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية • و«النشيطة» وهي ما اصاب الرئيس قبل ان يصير الى بيضة القوم ، او ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول الى الموضع الذي قصدوه • و «المكس» وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية • وكذلك: الاتاوة، والحلوان • ومما أبطل قولهم : «أنعم صباحا وأنعم ظلاما» وقولهـــم الملك : «أبيت اللعن» وقول المملوك لمالكه : «ربي» • وتسمية من لم يحج «صرورة» وغير ذلك • وقد نرى بعض هذه الالفاظ مستعملا في اللغة الان فهو ، اما مستعمل في غير معناه الاصلي •• واما انه قد أرجع اليه بعد اهماله ••

على اننا لا نشك في اهمال كثير من الالفاظ العربية في القرنين الاولين

للهجرة ، ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور •• يكفي لتحقيق ذلك ، مراجعة المعجمات وتدبر ألفاظها ، فانك ترى فيها مئات وألوفا من الالفاظ التي بطل استعمالها ، ولا نظنهم جمعوها في صدر الاسلام ، الا لانها كانت شائعة على ألسنة العرب •

وقد يعترض على ذلك ان تلك الالفاظ انما أهملت في العصور الاخيرة فلا ننكر اهمال بعضها في هذه العصور ، ولكن جانبا كبيرا منها أهمل في العصور الاولى ، فضلا عما قل استعماله قبل الاسلام •• حتى لقد كان احدهم يسمع اعرابيا يتكلم ، فاذا ذكر ألفاظا مهملة أغلق على السامع فهمها ولو كان لغويا ••

***

يروى عن ابي زيد الانصاري انه قال : «بينما انا في المسجد الحرام، اذ وقف علينا اعرابي ، فقال : يا مسلمون ــ بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ــ اني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي ، المواصي أسياف تهامة ، عكفت علينا سنون محش ، فاجتبت الذري ، وهشمت العري ، وجمشت النجم، وأعجبت البهم ، وهمت الشحم ، والتحبت اللحم ، وأحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس أوزاعا ، والنبط قعاعا ، والضهيل جراعا ، والمقام جعجاعا ، يصبحنا الهاوي ، ويطرقنا العاوي ، فخرجت لا أتلفع بوصيده ، ولا أتقوت بسهيده ، فالبخصات وقعه ، والركبات زلعه ، والاطراف فقعه ، والجسم مسلهم ، والنظر مدرهم ، اعشوا فاغطش ، وأضحي فاخفش ، اسهل ظالعا ، وأحزن راكعا ، فهل من آمر بمير ، او داع بخير ، وقاكم الله سطوة القادر ، وملكة الكاهر ، وسوء الموارد ، وفضوح المصادر •• قال ابو زيد فأعطيته دينارا وكتبت كلامه واستفسرت منه ما لم اعرفه» وأبو زيد الانصاري من فطاحل أئمة اللغة • وأمثال هذه كثيرة في أخبار العرب •

الألفاظ الأدارية

مصالح الدولة

كانت مصالح الدولة قبل الاسلام ، عبارة عن مناصب كبار الامراء من قريش في الكعبة ، كالسدانة ، والسقاية ، والرفادة ، والقيادة ، والمشورة، والاعنة ، والسفارة ، والحكومة ، والعمارة ، وغيرها .. وكلها عربية يدل لفظها على معناها . فلما ظهر الاسلام ، وفتح المسلمون الشام ، والعراق، ومصر ، وفارس ، انشأوا على أنقاض دولتي الروم ، والفرس ، دولة دوّنوا فيها الدواوين ، ونظموا الجند ، وسنوا القوانين ، على ما اقتضاه تمدنهم ، مما لم يكن له مثيل في جاهليتهم .. فاضطروا للتعبير عن ذلك الى ألفاظ جديدة ، فاستعاروا بعضها من لغات القوم الذين اقاموا بينهم وخاصة الفرس ، واليونان ، والرومان ، واستعملوا لما بقي ألفاظا عربية حوّلوا معانيها حتى تؤدي معاني تلك الموضوعات ، كما فعلوا في الاصطلاحات الشرعية واللغوية . ولو شئنا ذكر كل ما استحدث من تلك الالفاظ لما وسعه غير المجلدات .. فنكتفي بالامثلة .

١ ـ الالفاظ الادارية العربية

اول الالفاظ الادارية التي استحدثت في الدولة العربية «الخليفة» فانها كانت تدل في الاصل على من يخلف غيره ويقوم مقامــــه بدون تخصيص ، ثم انحصر معناها فيمن يخلف النبي ، وأول الخلفاء ابو بكر•• ومنها صارت تؤدي معنى «السلطان يحكم بين الخصوم والسلطان الاعظم والمحكم الذي يستخلف عن قبله» ويقال نحو ذلك في سائــــر مناصب الدولة ، كالوزارة ، والامارة ، والنقابة ، والكتابة ، والحجابة ، والشرطة، ونحوها ••

فان الوزارة كانت تدل على المعاونة ، ثم تغير معناها باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها •• ويشتق دار مستتر لفظ الوزير من اصل فارسي قديم (بهلوي) هذا نطقه «ويجيرا» ومعناه حكم ، او أقر •

***

ومثل ذلك «الكاتب» فقد رأيت فيما تقدم ان الاصل في دلالة «كتب» الحفر على الخشب او الحجر ، لانهم كانوا يكتبون بالحفر •• فلمـــا كتبوا بالمداد ، صار معناها الكتابة المعروفة • ولما ظهر الاسلام احتاجوا الى من يكتب السور فكان الذين يكتبونها يسمون كتبة الوحي • وكان بعضهم يكتبون بين الناس في المدينة ، فلما تولى ابو بكر استخدم كاتبا يكتب له الكتب الى العمال والقواد •• ولما تولى عمر ودوّن الدواوين استخدم الكتبة لضبط أسماء الجند وأعطياتهم ، فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب • ولما استبد الكتاب في الدولة المصرية وغيرها ، صار الكاتب بمعنى الوزير •• ويراد بالكاتب الان العالم المنشىء •

ومن ذلك لفظ «الدولة» فقد كانوا يريدون «انقلاب الزمان والعقبة في المال والفتح في الحرب» ثم دلوا به على الملك ووزرائه ورجـــــال

حكومته ، ولم يكن لها هذه الدلالة قبلا .

و «الحجابة» تدل في الاصل على الستر والمنع . فالحاجب الساتر او المانع ، فكان حاجب الخليفة من أصغر رجال الدولة . فلما ضعف الخلفاء واستبد الحجاب . صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير .

***

وقس على ذلك سائر مناصب الدولة ، كالامارة ، والشرطة ، والقضاء، والحسبة . والنقابة . والامامة ، وغيرها من اصطلاحات الجند كالمسترزفة . والمتطوعة ، والعلوفة . والعسكر.. وضروب الحرب وأبواب الهجوم . كالزحف ، والكر ، والفر . والبيات . والكفاح ، والغرة .. وصنوف الاسلحة : كالدبابة ، والكبش ، والعرادة ، وغيرها . ناهيك باصطلاحات الدواوين على اجمالها . كقولهم الثغور ، والعواصم ، والاقليم ، والقصة ، والعمل ، والولاية . والضياع ، والحكومة، والسكة، والتوقيع . والوظيفه ، والخراج . والجزية . والعشور ، والمرافق . والصوافي . والجوالي . والجباية ، والوقف . والمصادرة ، والمستغلات، والصدقة . والمكوس . والمراصد ، ودار الضرب . والضمان ، والدفاتر . والجرائد ، والخرائط . والايغار ، والراتب . والجاري ، والعطاء ، والبيعة ، والدعوة ، والختم ، والخطط . والمطالعة ، والمؤامرة ، وغير ذلك كثير جدا .

فالالفاظ المذكورة عربية الاصل وأكثرها معروف قبل الاسلام . ولكن مدلولاتها تغيرت بتغير أحوال المسلمين بعد انشاء دولتهم .. اذ حدث بانشائها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها الى ألفاظ جديدة . فنوّعوا ما عندهم .. اما عمدا او عفوا فصارت الى ما هي عليه .

«فالخراج» مثلا كان معناه في الجاهلية الكراء والغلة ، ويدل ذلك

على معنى ضرب الخراج في الاسلام ، فانهم كانوا يعدون الارض ملكا لهم وقد سلموها لاهلها على سبيل الايجار بالكراء ، فصار معنى الخراج بعد ذلك «ما وضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها» ثم صار الخراج مقاسمة او مساحة او سيحا او سقيا ، وأكثرها ألفاظ جديدة لمعان جديدة ..

و «الحكومة» كانت تدل في الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لانها مصدر حكم أي قضي ، وتلك كانت أعمال صاحب الحكومة في الجاهلية ، ثم تحوّل معناها الى «أرباب السياسة او رجال الدولة» .

و «السكة» في الاصل الحديدة المنقوشة التي كانوا يضربون عليها النقود ، ثم سميت النقود بها ، واشتقوا منها الافعال والاسماء لهذا المعنى .

***

و «التوقيع» الاصل فيه «التأثير» من قولهم : «وقع الوبر ظهر البعير توقيعا أثر فيه» ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة الى الخليفة ، او السلطان ، او الامير ، فكان الكاتب يجلس بين يدي السلطان في مجالس حكمه .. فاذا عرضت قصة (عرضحال) على السلطان ، امر الكاتب ان يوقع عليها (يؤشر) بما يجب اجراؤه . ثم تحوّل معناها الى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا .. وعلى نحو هذا النمط ، تحوّل معنى «الامضاء» اليوم الى التوقيع ، ومعناه في الاصل «التنفيذ» فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن امر رجال الدولة في امضائها ، أي تنفيذ توقيعه ، ثم تحول معناها الى التوقيع أي وضع العلامة على الصكوك ونحوها .

ومن هذا القبيل «الوظيفة» فان الاصل في معناها «ما يقدّر من

عمل ، وطعام ، ورزق ، وغير ذلك» ومنها وظف عليه الخراج ونحوه ، أي قدّره .. فاستعملها كتاب الدولة العربية لهذا المعنى مع بعض الانحراف ، فقالوا : «وظف الرجل توظيفا : عيّن له في كل يوم وظيفة» فالموظف هو الذي يأخذ الوظيفة . او الراتب .. ثم توسعوا في لفظ الوظيفة . فدلّوا بها على المنصب او الخدمة المعينة . والمشهور ان استعمالها لهذا المعنى من اصطلاحات هذا العصر ، ولكنه أقدم من ذلك كثيرا .. فقد استعملها لهذا المعنى جماعة من فحول الكتبة ، كابن خلدون في مقدمته . والمقريزي في خططه ، وغيرهما . وتولد في اثناء تحوّل هذه اللفظة الى هذا المعنى . ألفاظ اخرى تقوم مقامها في معناها الاول ، كالراتب ، والجاري ، والماهية (وهذه فارسية الاصل من «ماه» شهر والماهية الشهرية) .. واستحدثوا لفظة اخرى للمنصب لم يكن لها هذا المعنى من قبل . وهي «الخطة» فمعناها في القاموس «الارض التي تنزلها ولم ينزل بها نازل قبلك» و «الخطة» بالضم «الخصلة وشبه القصة والامر والجهل» فاستعملوها بمعنى المنصب لعلاقة لا نعلمها .. ومن ذلك قول ابن خلدون : «الوزارة أم الخطط الاسلاميه والرتب الملوكيه» .

٢ ـ انتقال اللفظ من معنى الى آخر

وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثير في اللغة العربية . ومنها الاضداد . أي اللفظ ذو المعنيين المتضادين . وأسباب هذا الانتقال كثيرة يصعب تتبعها في كل ما نراه من الاختلاف في معاني اللفظ الواحد او مشتقاته ، لكننا نذكر اربعة منها على سبيل المثال :

١ ـ دخول كلمة أعجمية لفظها يشبه لفظ كلمة عربية ، فيجعلونها من

مشتقاتها •• كما فعلوا بالبلاط بمعنى القصر ، فانهم اخذوها عن اللاتينية، فأشبهت لفظ البلاط الحجر المعروف فجعلوها من مشتقات «بلط» •

ومثل قولهم «تباشير» فقد شقهـــــا القاموس من «بشر» فقال : «التباشير البشرى ••• وتباشير الصبح أوائله • وكذلك أوائل كل شيء ولا يكون منه فعل» واللفظة فارسية مركبة من تبا «مثل» وشير «لبن» أي ابيض كاللبن ؛ وكان الفرس يدلون بها على بياض الصبح عند اول شروق الشمس : فاقتبسها العرب منهم ودلوا بها على أوائل كل شــيء وعلى البشرى •

٢ ــ استعمال لفظين معا لمعنى ، ثم اهمال احدهما بالاستعمال التماسا للاختصار • فيبقى الآخر للدلالة على ذلك المعنى •• مثل قولهم «ارتفاع» بمعنى جباية فيقولون : «ارتفاع الدولة» ويريدون مقدار جبايتها أي مجموع دخلها • وليس في هذه اللفظة ما يلمح منه هذا المعنى ولا ذكره لها القاموس • وأصل هذه الدلالة انهم كانوا يستعملون ارتفاع مـــع لفظ جباية ، فيقولون : «ارتفاع جباية الدولة» أي مقدار ما بلغت اليه جبايتها (من ارتفع السعر أي غلا) ثم أسقطوا «الجبايه» للاختصار فظلت «ارتفاع» وحدها لنفس ذلك المعنى •

* * *

ومثل ذلك قولهم : «اشفي العليل» بمعنى «امتنع شفاؤه» (أي ضد معنى المادة الاصلي الشفاء) وسبب هذا التضاد ان «اشفي» مـــن مشتقات «شفا» الواوية بمعنى الاشراف او الاقتراب ، وليس من مشتقات «شفي» اليائية كما أوردها القاموس •• فكانوا يقولون : «أشفـــي المريض على الموت» أي أشرف عليه ؛ ثم اختصروه ، فقالوا : «أشفـــي المريض» لنفس هذا المعنى ، والتبس على صاحب القاموس أصل مادتها ،

فعدها من مشتقات شفي •

وكذلك قولهم : «عقد له» بمعنى «ولاه» وليس في مادة «عقد» ما يقرب من هذا المعنى . ولا رأينا في القاموس انها تستعمل لمعنى الولاية ، ولكنها كثيرة الورود في كتب التاريخ لهذا المعنى • والاصل في هذه الدلالة ، ان الخلفاء في صدر الاسلام . كانوا اذا وجهوا جيشا الى حرب عقدوا له الالوية وسلموها الى الامراء . لكل امير لواء •• وكان توجيههم الى الفتح يتضمن معنى الالوية على البلاد التي يفتحونها . ثم صار الخلفاء بعدهم يعقدون ذلك اللواء للامراء عند توليتهم بعض الامارات •• فيقال «عقد له اللواء على البلد الفلاني» أي ولاه اياه . ثم اختصروا فقالوا : «عقد له» •

ولمثل هذا السبب يستعمل كتابنا اليوم «برهة» بمعنى الزمن القصير، وهي تدل في الاصل على الزمن الطويل •• فالظاهر انهم كانوا يقولون : «برهة قصيرة» او «برهة وجيزة» للزمن القصير •• ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى •

٣ ــ تفرع اللفظ الواحد بالقلب والابدال الى ألفاظ كثيرة تدل على تفرعات المعنى الاصلي •• وأمثلة ذلك كثيرة في اللغة لا حاجة الى ذكرها • ولكن قد يتنوع المعنى ويبقى اللفظ على حاله ؛ فيندر ان يهتدي الى سبب ذلك التنوع •• ومن أغرب الامثلة على ذلك «جن» ومشتقاتها، فانها تدل على معان كثيرة ترجع الى «الظلمة ، والاختفاء ، والجنون ، والجن، والجنة» •• ولا يخفى ما بين هذه المعاني من التباين والتناقض•• فلنتبع هذه اللفظة الى أصلها لعلنا نهتدي الى تعليل هذا الاختلاف :

يظهر لنا ان هذه المادة قديمة في تاريخ اللغة ، بدليل وجودها في جميع اللغات السامية وأمهات اللغاتُ الآرية •• فهي في العبرانية ، والسريانية على نحو ما هي في العربية لفظا ومعنى • وفي السنسكريتية

«جان» الروح وكذلك في الفارسية • ويظهر انها حدثت والانسان في اول أدوار حياته ، أي يوم كان المغول ، والآريون ، والساميون ، وغيرهم عائلة واحده لأن الصينيين يدلون على الروح بنحو هذا اللفظ أي «تسن» وأما في اليونانية ، واللاتينية فتدل على الولادة ، او السلسل ، وهما من فروع المعنى الاصلي ••

و«جانا» في السنسكريتية «مسكن الارواح ، او الآلهة» ولعل هذا هو الاصل في دلالة لفظ «الجنة» (الفردوس) في اللغات السامية ايضا•• ثم تنوقلت حكاية الخليفة عند الساميين أجيالا قبل تدوينها ، فعرض في اثناء ذلك انتقالهم الى اعتقاد التوحيد ، فأثر هذا الانتقال على معنى تلك اللفظة وتحول الى ما نعلمه ••

فلما كتب سفر الخليقة ، كان المعنى الاول قد تنوسي من اللغة العبرانية ، فضاع كما ضاع معنى لفظ «عدن» •• فأدى ذلك الى الرجم في تفسيرهما بعد ذلك • اما في السنسكريتية ، فلفظ «أدن ، او عدن» معناه الاكل ، او الطعام •• وربما كان هذا هو المراد بجنة عدن في حكاية سفر الخليقة ، لان الله خلق الانسان ووضعه في «جنة عدن» وغرس له فيها الاشجار ليأكل ، ومنعه من شجرة الخير والشر •• كأنه اقامه في جنة فيها أكل ••

***

ثم ان دلالة مادة «جان» او «جن» على الروح في اللغات السامية لا يزال أثرها باقيا في لفظ «الجان» العربية ، والاصل في دلالتها «كل ما استتر عن الحواس من الملائكة او الشياطين» أي الارواح على اطلاقها • وكان اعتقاد الناس في سبب الجنون ، انه حلول تلك الارواح في المجنون •• فعبروا عن الجنون بلفظ مشتق من «الجان» فقالوا : «جن»

الرجل على المجهول ، زال عقله او فسد او دخلته الجن» . ونظرا لاختفاء الارواح عن حواس البشر ، وخاصة عن أنظارهم ، دلوا بتلك اللفظة على الظلمة ، والاختفاء او الاستتار .. فقالوا جنّ الليل : أظلم ، وجنّه الليل: ستره .. فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة الى المعاني الخمسة التي ذكرناها ، وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعاني يرجع الى احدها .

ويحسن بنا في هذا المقام ان تتتبع تاريخ هذه اللفظة في الافرنجية وما يقابلها في اللغات السامية .. فقد خسرت دلالتها على «الروح» في كل اللغات الآرية (الا الفارسية والسنسكريتية) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من Gen ومشتقاتها ، ومنها Genus في اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس .. ويقابلها في العربيـــة «جنس» ويقابل Gen في العربية «جيل» واللفظ والمعنى متقاربان .

ولم تخسر لفظة «جان دلالتها» على «الروح» الا بعد ان تولد ما يقوم مقامها، لاسباب ترجع الى تغيير حدث في عادات الامم او اعتقاداتهم. وأهم ما حدث في اعتقادات البشر الانتقال من الشرك الى التوحيد .. فلما اعتقد الساميون بالتوحيد ، اصبحت الارواح السماوية عندهم أي الملائكة خدما للاله العظيم .. ينفذها حيث شاء لتبليغ اوامره او نواهيه، فعبروا عن الروح بلفظ «الرسول» وهذا معنى «الملاك» في اللغـــات السامية فانه اسم مفعول من «هالك» أرسل ، وأصل المادة «هلك» مشى او سار .. ومنها قولهم في التوراة ملاك الرب : أي رسول الله . وقد فقدت هذه المادة في العربية ، ولا يزال أثرها باقيا في «ألوكة» أي الرسالة.

وحدث نحو ذلك في اللغات الآرية فان معنى الملاك عندهم يرجع الى «Angel» وهي مأخوذة من (انجلوس) اليونانية ومعناها «الرسول» كأنهم ترجموا لفظ ملاك الى لسانهم حرفيا .

٤ ــ اكتساب اللفظ معنى جديدا من عادة شائعة ، كما اكتسب

لفظ «بنـــي» معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف، وجملة «عقد له» معنى «ولاه» وقد تقدم ذكرها •

وبالجملة ، فقد حدث في اثناء التغيير الاداري في الدولة الاسلامية، نهضة عظيمة أحدثت تغييرا كبيرا في اللغة لفظا ومعنى •• وليس ما ذكرناه الا أمثلة قليلة •

١ ــ الالفاظ الادارية الاعجمية

أما الالفاظ التي اقتبسها العرب في اثناء انشاء دولتهم فكثيرة أيضا، نأتي بأمثلة منها :

من أقدم ما اقتبسوه من الالفاظ الادارية الفارسية «الديوان» على عهد عمر بن الخطاب ، فانه اول من دوّن الدواوين في الاسلام . فوضع الديوان على نحو ما كان عند الفرس ، واستعار له اللفظ الفارسي •• فاستعمله اولا للدلالة على ديوان الجند ، فكانوا اذا قالوا الديوان ارادوا ديوان الجند فقط ، ثم أطلقوه على سائر الدواوين ، وألحقوا به ألفاظا تميز بينها: كديوان الانشاء ، وديوان العرض ، وديوان الضياع ، وديوان الخراج ، وهي كثيرة • ودلوا به على الكتاب الذي تدوّن فيه أسماء الجنود ، فكانوا اذا قالوا : فلان من اهل الديوان ، ارادوا انه ممـــن اثبتت اسماؤهم في ذلك الكتاب • ثم أطلق على كل كتاب ، ثم انحصر في الدلالة على الكتب التي تجمع فيها الاشعار •• فاذا قالوا : ديوان فلان : ارادوا به مجموع أشعاره •

ولما كان اهل الديوان يجتمعون في مكان واحد ، سموا ذلك المكان ديوانا ، وأطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح او النظر فيها •• والعامة تعبر بالديوان عن المقعد •

وقس على ذلك كثيرا من الالفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحـــات

الحكومة ، وخاصة الجند والأسلحة ونحوها : كالخوذة ، والجامكية ، والجزية ، والدولاب ، والدلق ، ودهقان ، والدانــــق ، ورستاق ، وسباهي ، والبريد ، وزنديق ، وكسرى ، ونيشان ، ويلمق ، والطراز ونحوها •

والالفاظ اليونانية الادارية قليلة في اللغة العربية ، ومنها : الاسطول، والمنجنيق ، والدرهم ، والبطاقة ، والقنداق ، والكردوس ، والليمان •

واذا تدبرت تاريخ هذه الالفاظ في لغاتها الاصلية او بعد انتقالها الى العربية ، رأيت مدلولاتها تنوعت بتنوع الاحوال ، فالدرهم مثلا الاصل فيه الدلالة على الوزن ، ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ، ثم أطلق على النقود كلها •

وأما الالفاظ اللاتينية ، فمنها : البلاط (بمعنى قصر الملك) والدينار والدمستق • وربما أدخلوا ألفاظا تركية ، او هندية ، او كلدانية ، او نبطية ، او نحوها •• مما يضيق المقام عن استيفائه ••

الألفاظ العلمية

العصر العباسي

نريد بالالفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم ، والفلسفة الى اللغة العربية في العصر العباسي من الالفاظ الجديدة ، لتأدية ما جدّ مـــن المعاني ، مما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كالمصطلحات الطبية ، والكيماوية ، والفلسفية ، والطبيعية ، والرياضية ، والفلكية ، والمنطقية، وما ألحق بذلك من مصطلحات علم الكلام ، والتصوف ، ونحوهما . وشأن اهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية ، والفارسية، والهندية ، وغيرها ، مثل شأننا في نقل علوم هذا العصر من الفرنسية ، والانجليزية ، والالمانية ، وغيرها .. بل هم كانوا أحوج منا الى اقتباس الالفاظ الاعجمية ، وتنويع المعاني العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك ، بما وصل الينا مما اقتبسوه ونوّعوه من تلك الالفاظ .

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الالفاظ وتبديلها ، ولكنها احدثت تنويعا في التعبير يسهل علينا تصوره لكثرته في نهضتنا هذه مما سنذكره في حينه .. فالتغيير الذي اصاب اللغة العربية بنقل كتب العلم ،

والفلسفة قسمان : احدهما في المفردات ، والآخر في التراكيب • والتغيير اللفظي اما بتنوع الالفاظ العربية ، او باقتباس ألفاظ أعجمية •

١ ـ الالفاظ العلمية العربية

هي ألفاظ عربية تنوعت معانيها ، للدلالة على ما حدث من المعاني الجديدة العلمية ، والفلسفية ، التي تنوعت من قبل للدلالة على المعاني الشرعية ، واللغوية ، والادبية في صدر الاسلام •

وأول تلك الالفاظ ، أسماء العلوم التي نقلت الى لساننا او حدثت فيه على أثر ذلك ، كالطبيعيات ، والالهيات ، والرياضيات ، والمنطق ، والهيئة ، والجبر ، والمقابلة ، ونحو ذلك، مع ما في كل علم من الاصطلاحات الخاصة به ، وهي كثيرة جدا •• اليك أمثلة منها :

١ ـ الالفاظ الطبية

فالالفاظ الطبية العربية لم يكن منها في الجاهلية الا مفردات قليلة ، كالحجامة ، والكي ، ونحوهما •• فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد ، ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والامزجة ، والاختلاط من الحار ، والبارد ، والجاف ، واليابس ، والسوداء ، والصفراء ، والبلغم ، والنبض ، والتخمة ، والانذار ، والهضم ، والبحران ، والمشاركات •

وأسماء الادوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسهلات ، والتطولات ، والمخدرات ، والاستفراغات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والأطلية •

والكلمات الدالة على أثر تلك الادوية ، مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن ، وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، وآكال ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو . ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملس ، وترياق ، وغير ذلك .

ومن الالفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثي ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار ، وغيره.

ناهيك بأسماء الامراض او أعراضها : كالصداع ، والكابوس ، والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعشة ، والاختلاج ، والسرطان ، والسلاق ، والشترة ، والشرناق ، والخانوق ، والذبحة ، والربو ، وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهر ، والضمور ، والخفقان ، والغشيان ، واليرقان ، والاستسقاء ، والديبلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ، والسدد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك .. مما لا يمكن حصره .

ومن أوصاف الامراض انواع الحميات : كالمزمنة ، والحادة ، والمختلطة ، والغب ، والمطبقة ، والربع ، والدق ، وغيرها .. غير الالفاظ التشريحية : كأسماء الاوعية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الاعضاء الباطنة التي لم يكن العرب يعرفونها .

ولاكثر الالفاظ الطبية العربية معان لغوية ، عرفها العرب قبل عصر العلم .. فلما احتاجوا الى المعاني الجديدة استعملوا من تلك الالفاظ ما يقرب معناه من المعنى المقصود .

٢ ـ الالفاظ الرياضية

ويقال نحو ذلك في الالفاظ الكيماوية ، والرياضية ، والفلكية ، وسائر العلوم الطبيعية ، مما يضيق هذا المقام عن استيفائه ، وقد يلزم

لاصطلاحات كل علم كتاب بذاته .

فمن أمثلة الالفاظ الفلكية ، أكثر اسماء الابـــراج ، والافلاك ، والمصطلحات الفلكية ، والازياج ، وما يلحق ذلك ، كالرصد ، والتعديل، والتقويم ، والخسوف ، والكسوف .

ومن الالفاظ الرياضية في الهندسة ، والحســـاب ، والجبر ، ما لا يحصى ، كالمماس ، والمخروط ، والمثلث ، والمربع ، وغير ذلك .

٣ ـ الالفاظ الفلسفية والمنطقية والكلامية

وأما الفلسفة والمنطق ، فاصطلاحاتهما تفوق الحصر .. ومن العلوم التي اقتضاها التمدن الاسلامي بعد نقل الفلسفة والمنطق الى لسان العرب، علم الكلام والتصوف مع التوسع في الفقه والاصول . وقد كان لهذه العلوم تأثير كبير في اللغة العربية ، فنوعت ألفاظها ، وأحدثت فيها ألفاظا جديدة :

وذلك كقولهم : الكون ، والظهور ، والقدم ، والحدوث ، والاثبات، والنفي ، والحركة ، والسكون ، والمماسة ، والمباينـــة ، والوجود ، والعدم ، والطفرة ، والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، والتحرير ، والمصاف ، من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس ، والمريد ، والمراد ، والسالك ، والمسافر ، والسطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ، والبقاء ، والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف .

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعد بالالوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصـــة لتفسيرها ، وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن أشهر تلك المعجمات كتاب «التعريفات» للجرجاني في نيف ومائة

صفحة و «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و «كليات ابي البقاء» في اربعمائة صفحة و «اصطلاحات الصوفية» الواردة في الفتوحات المكية وغيرها • فاذا ذكروا لفظا أوردوا معناه اللغوي، ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية•• وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق •

فيقول الجرجاني في لفظ «القياس» مثلا : «القياس في اللغة عبارة عن التقدير ، يقال : قست النعل بالنعل اذا قدرته وسويته ، وهو عبارة عن رد الشيء الى نظيره • وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه الى غيره ، وهو الجمع بين الاصل والفرع في الحكم • وفي المنطق قول مؤلف من قضايا اذا سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر ، كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث ، فانه قول مركب من قضيتين •• اذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث هذا عند المنطقيين • وعند اهل الاصول ، القياس ابانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر واختيار لفظ الابانة دون الاثبات ، لان القياس مظهر للحكم لا مثبت ، وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الاوصاف واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين وبين المعدومين» ثم ميز الجرجاني بين أنواع القياس بألفاظ تلحق به ، كالقياس الجلي والخفي والاستثنائي والاقترابي وقياس المساواة ، ولكل منها معنى اصطلاحي خاص •

وفي الاصطلاحات الصوفية : «الهاجس» يعبرون به عن الخاطر الاول ، وهو الخاطر الرباني ، وهو لا يخطىء ابدا •• وقد يسميه سهل السبب الاول ونقر الخاطر ، فاذا تحقق في النفس سموه ارادة ، فاذا تردد الثالثة سموه همة ، وفي الرابعة سموه عزما ، وعند التوجه الى القلب ان

كان خاطر فعل سموه قصدا ، ومع الشروع في الفعـــل سموه نية • و «المريد» هو المتجرد عن ارادته ، وقال ابو حامد : «هو الذي فتح له باب الاسماء ودخل في جملة المتوصلين الى الله بالاسم • و «المراد» عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهييء الامور له • فجاوز الرسوم كلهـــا والمقامات من غير مكابدة • و «السالك» هو الذي مشى على المقامـــات بحاله ، لا بعلمه فكان العلم له عينا • و «المسافر» هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات •• فعبر عن عدوة الدنيا الى عدوة القصوى • و «السفر» عبارة عن القلب . اذا اخذ في التوجه الى الحق تعالى بالذكر•• وقس على ذلك •

٢ ـ الالفاظ العلمية الاعجمية

حينما قام العرب بتعريب العلوم ، نقلوا من اصطلاحاتها الى لسانهم ما استطاعوا نقله ، ونوّعوا الالفاظ على مقتضى المراد كما تقدم • وما لم يستطيعوا تعريبه ، نقلوه بلفظه الى لسانهم •• وأكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير ، والامراض ، او الادوات ، او المصنوعات التي لم يكن لها شبيه في بلادهم •

فمما اقتبسوه من أسماء العقاقـــير : الافسنتبن ، والبقدونس ، والزيزفون ، والسقسونيا ، والقنطاريون ، والمصطكي من اللغة اليونانية• والبابونج ، والبورق ، والبنج ، وخيار شمبر ، والراتينج ، والزرجون ، والزرنيخ ، والزاج ، والسرقين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشيرج ، والمرداسنج من اللغة الفارسية •

ومن أسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية : القولنج ، والترياق ، والكيموس ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا من

اليونانية •• وسرسام ، ومارستان من الفارسية •

ومن المصنوعات والادوات : الاصطرلاب ، والقيراط ، والانبيق ، والصابون من اليونانية •• والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ، والدسكرة، والاسطوانة من الفارسية •

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها : الهيولـــي ، والاسطقس ، والفلسفة ، والطلسم ، والمغنطيس ، والاقليم ، والقاموس ، والقانون من اليونانية •• غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير ونحوها •

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون مـــن اقتباس الالفاظ الاعجمية ، ولم يتعبوا انفسهم في وضع ألفاظ عربيـــة لتأدية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم •• بل كانوا كثيرا ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين أعجميتين • فالسرسام مثلا اسم فارسي لورم حجاب الدماغ ، استعمله العرب للدلالة على هذا المرض •• ولمـا ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو «قرانيطس» ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا •

٣ ـ التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

هذا مطلب بعيد الاطراف ، يستغرق درسا طويلا وبحثا عميقا ، لا يأذن بهما المقام •• فنكتفي بالتنبيه اليه ، ونأتي ببعض الامثلة لتأييد قولنا • لكننا بالقياس على ما دخل اللغة العربية من التراكيب الاجنبية في اثناء نهضتنا الاخيرة ، بما نقلناه من علوم الافرنج الى لساننا ، نقطع بحدوث مثل ذلك في النهضة العباسية ، ونقلة العلم يومئذ من غير اهل اللسان العربي ••

على اننا لو فحصنا لغة ذلك العصر ، وقابلنا بين عبارة كتب الطب ،

والفلسفة . وعبارة كتب الادب ؛ لرأينا الفرق بينهما واضحا . واذا دققنا النظر في سبب ذلك الفرق رأينا عبارة اصحاب الفلسفة تمتاز بأمور ، هي سبب ضعفها وركاكتها منها :

١ ـ استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله هال اللغات الافرنجية .

٢ ـ كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم .

٣ ـ الاكثار من استعمال الفعل المجهول .

٤ ـ استعمال ضمير الغائب «هو» بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه .

٥ ـ ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات . كقولهم روحاني . ونفساني ، وباقلاني ؛ ونحو ذلك ، مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي .

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ، ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا بأس منها :

١ ـ تركيب الالفاظ مع لا النافية ، وادخال أل التعريف عليها، كقولهم اللانهاية ، واللاأدرية ، واللاضرورة .

٢ ـ صوغ الاسم من الحروف او الضمير ، مثل قولهم اللمية ، والكيفية ، والكمية ، والهوية .

٣ ـ نقل الالفاظ من الوصفية الى الاسمية ، كقولهم المائية ، والمنضجة ، والخاصة .

ومن هذا القبيل ، اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم «صاحب الشرطة» و «صاحب الستار» وهو تعبير فارسي .

الألفاظ العامة

كل ما ذكرناه من أمثلة نمو اللغة العربية في العصر الاسلامي ، انما هو قاصر على تفرع ألفاظها وتجددها ، بما اقتضاه الشرع ، والعلم ، والفلسفة ، والادارة ، والسياسة . وهناك تغييرات اخرى ، تنجت عما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير ، فضلا عن التجارة والصناعة ، وما اقتضاه كل منها من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاجنبية ، كأسماء الانغام الموسيقية ، والالحان وفروعها .. عدا ما اقتبسه المسلمون من العادات الاجنبية ، وما يتبع ذلك من أسماء الملابس ، والاطعمة ، والاحتفالات مما تغني شهرته عن ايراده .

وهناك تغييرات اخرى اصابت ألفاظ اللغة بغير داع من الدواعي التي قدمناها ، بل هي جرت في ذلك على ناموس الارتقاء العام القاضي على الأحياء بالتجدد والتنوع والتفرع ، لاسباب بعضها معلوم ، وبعضها غير معلوم . والغالب في هذا التنوع ان يكون بالانتقال من معنى كلي الى معنى جزئي ، او من معنى الى ما يشبهه ، او يتعلق به ، مما يعبرون عنه بالتوليد .. فالالفاظ المولدة هي التي أحدثها المولدون بعد ان دونت

اللغة وضبطت ألفاظها في أوائل الاسلام • والالفاظ المولدة اكثر كثيرا مما يظن اللغويون ، بل هي تتولد على الدوام بلا انقطاع • وكل ما تقدم ذكره من الالفاظ الاسلامية ، والادارية ، والعلمية ، والتجارية ، انما هو من قبيل المولد ، ولكنهم قلما يسمونها مولدة •• وعندهم ان القاموس هو الحكم الفصل في العربي والمولد العامي ، فما لا يذكره القاموس بين الالفاظ العربية عدوه عاميا او مولدا وحظروا استعماله •

ولكن القاموس وحده لا يكفي للحكم في ذلك ، لانه لم يتضمن كل ما تناقلته ألسنة البلغاء او تداولته أقلام الكتاب ، ولا كل ما نطقت به العرب •• وقد فطن الى ذلك أئمة اللغة في العصر الاسلامي وما بعده ونبهوا اليه •• قال ابن فارس : «ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها ، وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير» وقال السيوطي : «ومع كثرة ما في القاموس من النوادر والشوارد ، فقد فاته اشياء ظفرتُ بها في اثناء مطالعتي لكتب اللغة ، حتى هممت ان أجمعها في جزء مذيلا عليه» •

فعدم ورود اللفظ في القاموس لا يدل دائما على انه عامي او ضعيف •• ناهيك بألفاظ كثيرة ، اكتسبت بالحضارة معاني جديدة لم يدونها القاموس ، لان الائمة اعتبروها من قبيل الالفاظ العامية •• ولكن الكتاب استعملوها ، وفيهم المشاهير المشهود لهم بالبلاغة وسلامة الذوق•

***

فالاصل في معنى «البيت» في القاموس البناء المعروف ، والشرف، والشريف • فكانوا يقولون بيت بني تميم أي شرفهم ، وفلان بيت قومه أي شريفهم ، وبيت القصيدة احسن أبياتها قال «والعامة تقول هو من بيت فلان ، أي من عائلته» مع ان استعمال البيت بمعنى العائلة مما تداولته أقلام البلغاء وفي مقدمتهم ابن خلدون ، وقد عرّفه بقوله : «البيت ان يعد الرجل في آبائه أشرافا مذكورين تكون له بولادتهم اياه والانتساب

اليهم تجلة في اهل جلدته» وقال : «وكان بنو اسرائيل بيتا من اعظم بيوت العالم» .

و «الحضارة» الاصل في معناها سكني المدن اي ضد البداوة .. فلما تحضر العرب ، وكثر الترف في مدنهم ، صار معنى الحضارة عندهم «التفنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش وغيرها» .

ويقال نحو ذلك في «العمران» فان أصل معناها من عمّر الرجل في المكان سكن فيه ، ثم صارت تدل على معنى المدنية والحضارة .

وهذا ما اصاب لفظ «التمدن» فانها من تمدن الرجل ، أي تخلق بأخلاق اهل المدن ، ثم دلوا بها على مثل ما تدل عليه الحضارة او العمران او المدنية .

وقد استعملوا «ركاب السلطان» بمعنى موكبه ، ولا تجد لهذه اللفظة هذا المعنى في القاموس ، ولكن الكتاب استعملوها له .

وكذلك «كافة» فقد نبه القاموس انها تستعمل في مثل : «جاء الناس كافة» أي كلهم ، وانها لا تدخل عليها أل التعريف ولا تضاف . ولكن بلغاء الكتاب قد استعملوها في الحالين مرارا :

قال ابن خلدون : «لما كان الجهاد فيها مشروعا لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام» .

وقال صاحب أدب الدنيا والدين : «وفرض جميعه على الكافة كان أولى مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة» .

***

وقال ابو اسحق الصابي الكاتب الشهير من نسخة عهد كتبها عن المطيع لله الى الغضنفر بن ناصر الدولة : «أمره ان يعرف لركن الدولة

ابـــي علي وعز الدولة ابي منصور موليي امير المؤمنين تولاهما الله حق منزلتهما من امير المؤمنين وغنائهما عن كافة المسلمين» .

ومن الالفاظ التي استعملها الكتاب القدماء ، واقتدى بها كتابنا .. مع ان استعمالها يخالف قول القاموس ، تخصيص «القينة» بمعنى المغنية، والاصل اطلاقها على الامة مغنية كانت او غير مغنية .

و «المقراض» و «المقص» فان الاصل في استعمالها بالمثنى ، لانهما مقراضان ومقصان ، أي شفرتان . فيقال : «قرضتـــــه بالمقراضين» و «قصصته بالمقصين» . وقلما نرى بين الكتّاب القدماء او المحدثين من يستعملهما كذلك ، بل هم يقولون : قرضته بالمقراض ، وقصصته بالمقص.

والاصل في «المأتم» الاجتماع على العموم ، ثم خصصوه بالاجتماع في مجتمع النياحة .

و «أرق» في الاصل للسهر في مكروه ، ثم صار عاما .

ومن الاستعمالات الجارية على أقلام الكتاب ، وهي خطأ باعتبار القواعد المدونة ، قولهم : «بدأ به اولا» والصواب : «بدأ به أول» مثل قولهم قبلُ ، وحكمهما واحد .

ومن هذا القبيل ، جمع حاجة على حوائج . وعادة على عوائد . وهما شائعتان عند الكتاب مع مخالفتهما للقاعدة .

وكذلك جمع ريح على آرياح خطأ . ولكن الحريري استعملها ومثله جمع ارض على آراضي وجمع الجواب على أجوبة .

وقولهم : «شفعه بثالث» غلط ، اذ لا يقال شفعه الا للثاني من الشفع.

والاصل في «القافلة» الرفقة الراجعة ، فصارت تطلق على الرفقـــة المسافرين ذهابا او ايابا .

***

وقس على ذلك تنوعات كثيرة يعدها القاموس خطأ ، وقد نبه الى خطأها جماعة من فطاحل البلغاء ، وألفوا في تصحيحها الكتب .

، وأشهر ما ألفوه كتاب «دعوة الغواص في أوهام الخواص» لابي محمد الحريري صاحب المقامات ، وقد شرحها وعلق عليها كثيرون ، ومنهم ابن بيري بن عبد الجبار النحوي المتوفي عام ٥٨٢ هـ ، وأبو عبد الله المعروف بحجة الدين الصقلي المتوفي عام ٥٥٥ ، وابن المظفر المكي المتوفي عام ٥٦٨ ، وابن الخشاب النحوي ، وأبو بكر الانصاري ، وأحمد الخفاجي المصري ، وغيرهم .. وكل من هؤلاء اضاف الى ذلك الكتاب ألفاظا من هذا القبيل فاتت صاحب الدرة ، ونبهوا الى خطأ استعمالها .. ومع ذلك فالطبيعة غلبت على آرائهم وأقوالهم لان ما عدوه خطأ ، انما هو من نتائج النواميس الطبيعية التي لا بد منها .. سنة الله في خلقه .

الألفاظ النصرانية واليهودية

نريد بالالفاظ النصرانية واليهودية ، ما دخل اللغة العربية من الاصطلاحات الدينية لاهل الكتاب . وخاصة بعد ان نقلت التوراة ، والانجيل الى اللسان العربي .. فقد كانت لغة الدين المسيحي قبل الاسلام السريانية ، واليونانية ، والقبطية .. ولغة اليهود العبرانية ، على تفاوت في استخدام الواحدة دون الاخرى : واختلاف ذلك باختلاف العصور والاماكن .

فلما جاء الاسلام ، وانتشر المسلمون في العراق ، والشام : ومصر ، وتسلطت اللغة العربية ، اخذت تلك اللغات تتقهقر ، حتى توارت .. ولم يبق منها الا آثار قليلة في بعض الطقوس ، فالمسيحيون اصبحت العربية لغتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير بها عن كل اصطلاحاتهم الدينية ، ولما ترجموا التوراة والانجيل الى العربية ، أبقوا كثيرا من الالفاظ الدينية على لفظها ومعناها .. على ان كثيرا من الالفاظ النصرانية دخلت اللغة العربية في العصر الجاهلي ، كالقسيس ، والدير ، والتوراة، والانجيل ، وغيرها .

١ ــ الالفاظ الدينية والسريانية

واليك أشهر الالفاظ النصرانية واليهودية التي دخلت اللغة العربية وأصلها سرياني ، او كلداني ، مرتبة على حروف الهجاء ، وقد يشتبه بعضها بالاصل العبراني ، او ربما كان بعضها عبرانيا •• وقد وصل العربية على يد السريان •

آب بالمد لاسم الله	بحران	تفشرة	جهنم
عز وجل	برخ	توبة	حانوت
اسطوانة	برنسآء	توراة	حبر
آمين	ترعة	تيسن	دين بمعنى الحكم
أنبا	تلميذ	جالوت	دير
باعوث	تنور	جبروت	رشم الطفل
زياح	صحاح	قداس	مزمور
زيق	صراط	قربان	مشحة
ساعور	صلوت	قسّيس	ملكوت
تسبيح	طاغوت	قيامة	ميمر
سبط	طوبـي	كاروز	ناسوت
سعانين	طور	كرّاس	ناطور
سفر	طوفان	كنيسة	ناقوس
سفسير	عرّاب	كهنوت	نياحة
سليح	عروبة	كورة	يـم
سنور	عماد	لاهوت	يوناني
شبين	غفّارة	مار	
شمّاس	فِصح	مرعزّا	

فضلا عن أسماء الشهور الشمسية مثل : كانون ، وتشرين ، وآيلول.

ومن الالفاظ النصرانية ، ما هو من أصل يوناني دخل العربية اما رأسا او بواسطة اللغة السريانية ، مثل قولهم : انجيل ، وهرطقة ، وأسقف ، ومطران ، وطقس ، وطغمة ، وقس على ذلك ..

٢ ـ التراكيب او العبارات النصرانية

نريد بهذه التراكيب ما دخل العربية من اساليب اللغة السريانية ، والعبرانية ، واليونانية . وخاصة بعد ترجمة التوراة ، وهي كثيرة نأتي بأمثلة منها :

فمن التراكيب العبرانية قولهم :

قال في قلبه : أي افتكر .

واستراح الله من جميع عمله الذي عمله .

من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ... واذا آكلت موتا تموت .

وحدث بعد ايام ان قايين قدم أثمارا .. وحدث اذ كانا في الحقل ان قايين قام على اخيه .. الخ .

فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون : هذه امرأته .

صنع له خيرا وصنع له شرا : بدل أحسن اليه وأساء اليه .

ورفع عينيه ونظر .

وصار كلام الرب الى ابرام قائلا .

قد وجد نعمة في عينيه .

حسن ذلك في عيني الله .. وقبح ذلك في عيني الله .

فتح فاه وعلمهم .

ومن التراكيب اليونانية قولهم :

هكذا مكتوب بالنبي .

وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان •
ثم أصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس •
وفيما هو خارج من الطريق ركض واحد وجثا له •
تكلم الرب بفم أنبيائه •

وربما كان في بعض هذه التراكيب مسحة غير يونانية لاعتماد اكثر مترجمي الاناجيل على بعض ترجماتها في اللغات الاخرى فضلا عن الاصل اليوناني •• على اننا لا نعد هذه التراكيب مما يستحسن اقتباسه والنسج على منواله ، وانما هو خاص في لغة الكتاب المقدس أدخله المترجمون لاضطرارهم الى المحافظة على النص الحرفي •

الألفاظ الدخيلة والمولدة

في عصر التدهور

ما برحت اللغة العربية منذ الفتح الاسلامي ، وهي تكتسب الالفاظ الاعجمية والتراكيب الاجنبية كما رأيت ، مما دخلها من الالفاظ الادارية والعلمية في العصر العباسي وغيره حتى في العصر الجاهلي .. ولكن المراد بالالفاظ الاعجمية في هذا الفصل ، ما خالط اللغة من الالفاظ والتراكيب الاعجمية : بعد انقضاء دولة العرب ، وافضاء الملك الى السلاطين والامراء من الفرس ، والديلم ، والترك ، والاكراد ، والجركس ، في العراق ، وفارس ، والشام ، ومصر وغيرها .

لان اللغة العربية ما زالت سائدة في تلك الدول ، على اختلاف نزعاتها ولغاتها ، وكانت في اكثرها هي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها الحكومات . ولم تكن الدول الاعجمية أقل عناية بآداب اللغة العربية من الدول العربية ، بل كانوا اكثر اهتماما منهم في انشاء المدارس ، وتعليم الفقراء ، واستنساخ الكتب ، ولكن حال العمران على اجماله يومئذ قضى على اللغة بالانحطاط ، فدخلها التكلف والتجمل والتصنع ، وتكاثرت

فيها ألفاظ التفخيم والتبجيل •• وشاع التسجيع في الانشاء ، وحدث في تلك الدول وظائف جديدة ، وتنوعت الوظائف القديسة ، فحدث في اللغة ألفاظ جديدة ، او تنوعت الالفاظ القديمة للتعبير عن تلك المستحدثات •

السجع والتفخيم

فالتفخيم والتبجيل والتمليق ، اقتضت العناية في تنميق العبارات وتحشيتها ، وكان السجع قد اشتهر على أقلام الكتاب ، فبالغوا في تنميقه وتوسيعه • والتزام السجع ،يدعو الى استخدام الالفاظ الوحشية المهجورة ، حتى يصير الى ما تنفر منه الاسماع •

والسجع حسن اذا جاء عفوا بلا تكلف ، لا ان يتعمده المسجعون بالتعمل والتصنع حتى يمجه الذوق ، وينفر منه السمع • وأصبح التسجيع في ذلك العصر كثيرا ، يتفاخر به اكبر الكتاب ، والناس يومئذ يعدون ذلك مستحسنا ، ونحن نراه قبيحا ولو كان قائله من أشهر الكتبة ، كالعماد الاصفهاني فانه تعمد التسجيع في كلامه عن فتح بيت المقدس ، في كتابه المسمى الفتح القسي ، وهو من أشهر كتبه • واليك عبارة منه تدل على باقيه ، وهي قوله في رحيل صلاح الدين للفتح : «رحل من عسقلان للقدس طالبا • وبالعزم غالبا • وللنصر مصاحبا • ولذيل العز ساحبا • وقد أصحب رَيِّض مناه • وأخصب روض غناه • وأصبح رائج الرجاء • أرج الأرجاء • سبِّب العَرف • طيب العرف • طاهر اليد • قاهر الايد • سني عسكره قد فاض بالفضاء فضاء • وملأ فأفاض الآلاء • وقد بسط عثير فيلقه مُلاءته على الفلَق • وكأنما اعاد العجاج رأدَ الضحى جنح الغسِق • فالارض شاكية من أجحاف الجحافل • والسماء حاطية بأقساط القساطل الخ» •

فترى من نص هذه العبارة ، انهم كانوا يستعينون بالتسجيع للاطناب على ما اقتضاه حال تلك الايام وتلك الدول من التفخيم ، لان في التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء •• ولهذا السبب ايضا كثرت المترادفات في نعوت التفخيم ، فمن أمثلة ذلك ما قاله المرادي في تعريب الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «أعيان القرن الثاني عشر للهجرة» قال :

«هو استاذ الاساتذة ، وجهبذ الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف ، الامام الوحيد ، والهمام الفريد ، العالم العلامة ، والحجة الفهامة، البحر الكبير ، والحبر الشهير، شيخ الاسلام صدر الأئمة الاعلام، قطب الاقطاب الذي لم تنجب بمثله الاحقاب ، العارف بربه ، والفائز بقربه وحبه ، ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة الخ •• الخ» ولم يكن ذلك التطويل قاصرا في وصف رجال الفضل ، كالنابلسي ، بل كان شاملا كل انسان •

وما زالت الركاكة تتوالى على الانشاء العربي ، حتى بلغت منتهاها في اول القرن الماضي ، وكثرت الالفاظ العامية والدخيلة •• فمن أمثلة ذلك ما جاء في الجبرتي في اثناء كلامه عن حرب الفرنسيين وهي قوله : «وفي الثلاثة حضر هجان وباش سراجين ، ابراهيم بك وأخبر ان الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع ، وفك الجسر ، فعمل الباشا ديوانا الخ» وقوله : «وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا في صبحها ديوانا وقرئت المرسومات الخ» •

١٠ ـ الالفاظ المولدة في عصر التدهور

هذا ما يقال من حيث التراكيب ، وأما الالفاظ فقد كثر فيها الدخيل والمولّد ، وأكثرها في الالفاظ الادارية المتعلقة بالحكومة ونظمها وما

يتعلق بها .

والیك أمثلة من الالفاظ المولدة في عصر التدهور مما يختص بالادارة، وقد وضعنا بازاء كل لفظ ما صار اليه معناه في ذلك العصر :

النائب : القائم مقام السلطان .

الساقي : المتولي مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب .

المشرف : متولي أمر المطبخ .

ملك الامراء : من الالقاب التي اصطلحوا عليها لنواب السلطان .

رأس النوبة : الذي يتحدث على مماليك السلطان .

امير المجلس : الذي يتولى امر مجلس السلطان .

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثة في الدول التركية ، والكردية ، كامير السلاح ، ومقدم المماليك ، وأمير علم ، ونقيب الجيش ، والعامل.. وهذا غير العامل في الدولة العربية فانه في الدولة التركية يراد به منظم الحسابات .. ومثلها الصيرفي، وكاتب السر ، والناظر .. وهو خاص في الاموال ، وصاحب الديوان ، والشاهد ، وغيرها .

ومن هذا القبيل الالفاظ او النعوت التي تكتب في المكاتبـــــات والولايات ، واليك امثلة منها :

الجانب : من ألقاب ولاة العهد بالخلافة ومن في معناهم ، كامام الزيدية اليمني في مكاتباته عن الابواب السلطانية .

المقام : هو خاص بالملوك .

المقر : يختص بكبار الامراء ، وأعيان الوزراء ، وكتاب الشرف : كناظر الخاص ، وناظر الجيش ، وكاتب الدست .

الجناب : من ألقاب أرباب السيوف والاقلام جميعا .. فيما يكتب به عن السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم .

المجلس : هو من ألقاب أرباب السيوف والاقلام ممن لم يؤهل لرتبة الجناب .

مجلس (بلا أل) : يضاف الى ما بعده ، فاذا قيل مجلس الامير كان لقب أرباب السيوف على اختلاف طبقاتهم ، واذا قيل مجلس القاضي كان مختصا بأرباب الاقلام • واذا قيل مجلس الشيخ كان لقب الصوفية وأهل الصلاح • واذا قيل مجلس الصدر كان للتجـار وأرباب الصنائع •

الحضرة : ويراد بها حضرة صاحب اللقب ، وهي من الالقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء •• وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية ، ثم صارت تستعمل في العصر الـذي نحن فيه للمخاطبة من الابواب السلطانية الى بعض الملـوك او الاعيـان •

هذه أمثلة قليلة مما تولد في اللغة العربية من الالفاظ التي اقتضاها عصر الدول الاعجمية ، وأكثرها كان له معنى وتنوع على ما اقتضتـه الاحوال عملا بناموس الارتقاء •

٢ ـ الالفاظ الدخيلة في عصر التدهور

وأما الالفاظ الدخيلة ، ففيها الفارسي ، والتركي ، والكردي •• وكلها ادارية من اصطلاحات الحكومة ، واليك أمثلة منها :

الاستادار : يتولى قبض مال السلطان او الامير وصرفه ويمتثل أوامره فيه•

الجوكاندار : لقب من يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة •

الطبردار : الذي يحمل الطبر •

سنجقدار : يحمل السنجق وهو العلَم •

البندقدار : وهو يحمل جراوة البندق خلف السلطان او الامير •

الجمدار : الذي يتصدى لالباس السلطان او الامير ثيابه وأصله جامادار•

البشمقدار : يعمل نعل السلطان •

المهمندار : يهتم بالرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم الضيافة.
الزنان دار : وهو الزمام دار يتحدث مع السلطان ، وهو من الخدم او الخصيان .
الجاشنيكر : يتصدى لذوقان المأكول خوف التسمم .
السراخور : يتحدث عن علف الدواب .
أميراخور : صاحب الاصطبل .
أميرجاندار : يستأذن على الامير وغيره في ايام المواكب .

وقس على ذلك ما دخل اللغة في ذلك العصر من الاصطلاحات العسكريه والماليه والتجاريه .ومن هذا القبيل الاصطلاحات العسكرية والادارية في الدولة العثمانية . وبعضها تركي ، او فارسي صرف ، وبعضها مركب من التركي . او الفارسي ، والعربي : كالجاويش ، واليوزباشي ، والبكباشي ، والسرعسكر ، والمابين ، والسركي ، والياور ، وأميرالاي ، والاوردي . والآلاي . والطابور . والباشا ، والبيك ، والاغا ، ومنها ما هو عربي بصيغة تركية : كالمكتوبجي ، والمابنجي ، والمحاسبجي ، والباشكاتب . والسلاملك ، وما ينتهي بلفظ «خانه» كالرصدخانة ، والكتبخانة . او بلفظ «دار» كالدفتردار ، والخزندار .. ناهيك بالالفاظ العربية المولدة التي اكتسبت معاني جديدة في الدولة العثمانية : كالناظر ، والمتصرف . والمحتسب . والتابعية ، والمسئولية ، والصدر الاعظم ، والمدعي عمومي . والقائمقام ، ونحو ذلك وهو كثير جدا ، وسيأتي ذكر بعضه مفصلا في اثناء كلامنا على النهضة العلمية الاخيرة .

النهضة العلمية الأخيرة

لم يمر على اللغة العربية عصر أثر في ألفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الاخيرة في أواسط القرن الماضي ، لانها جاءتها على غرة دفعة واحدة .. فانهالت فيها العلوم انهيال السيـــل ، وفيها الطب ، والطبيعيـــات والرياضيات . والعقليات وفروعها ، ولم تترك للناس فرصة للبحث عمـا تحتاج اليه تلك العلوم من الالفاظ الاصطلاحية مما وضعه العـــرب او اقتبسوه في نهضتهم الماضية ولا لوضع الاوضاع الجديدة . والسبب في ذلك ان الذين اشتغلوا في ميادين العلوم الحديثة عند اول دخولها مصر والشام في أواسط القرن الماضي ، لم يكونوا على سعة من علم اللغة .. فلما ترجموا تلك العلوم الى اللغة العربية لم يهتدوا الى مصطلحاتهـــا القديمة ، او اهتدوا الى بعضها ووضعوا للبعض الاخر ألفاظا لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق .. لكنها صقلت بتوالي الاعوام وصارت تدل على المراد ، كما اصاب أمثالها في اثناء النهضة العباسية وغيرها .

فلما انقضت تلك البغتة ، وتكاثرت المدارس ونشأ الكتاب وعلمـاء

اللغة ، عادوا الى النظر فيما دخل اللغة من المصطلحات العلمية ، او الادارية الجديدة ، وقلما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصله وشيوعه في الكتب والجرائد والاندية وغيرها .. على انهم لم يعدموا وسيلة في اصلاح الانشاء والرجوع بعباراتهم الى نحو ما كانت عليه في صدر الدولة العربية ، لانهم تحدوا فطاحل الكتّاب في تلك العصور مع مراعاة الذوق والسهولة .. فنبغ بيننا كتّاب لا يفضلهم ابن المقفع ، ولا ابن خلدون ، ولا غيرهما من صفوة الكتّاب وعمدة المنشئين في شيء .. وقد أغفلوا السجع البارد ، وقللوا من الاطناب وأبطلوا المترادف .. وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاجماش والادران ، وما اصابها من الضعف في عصر الانحطاط .. واذا تدبرت لغة الكتّاب والمنشئين في اول هذه النهضة ، وقابلتها بلغة كتّابنا اليوم رأيت الفرق كبيرا ، وتوقعت ان تعود الى أسمى ما بلغته من درجات الكمال في عصر زهوها وشبابها ..

على اننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الالفاظ والتراكيب الاعجمية ، او مما تولدُ فيها من الالفاظ العربية الجديدة على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات الجديدة والآداب الجديدة والعلوم الجديدة . وقد دثر من اللغة كثير من الاصطلاحات القديمة ، وقام مقامها مصطلحات جديدة .. شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء .

فالتغيير الذي اصاب اللغة العربية في النهضة الاخيرة ، قد اصاب ألفاظها وتراكيبها .. وبعضه دخلها من اللغات الاجنبية ، والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع .. وللاحاطة بالموضوع نقسم الكلام فيه الى قسمين : نبحث في القسم الاول عن الدخيل ، وفي القسم الثاني عن المولد .

١ ـ الدخيل

يقسم الدخيل في اللغة العربية في اثناء هذه النهضة الى اربعة أقسام:
(أ) الالفاظ الادارية (ب) الالفاظ التجارية (ج) الالفاظ العلمية (د) التراكيب الاجنبية •

١ ـ الالفاظ الادارية الدخيلة

اكثر هذه الالفاظ من مصطلحات الدولة العلية ، وأكثرها تركي ، وفارسي ، وقد ذكرنا أمثلة منها في كلامنا عما دخل اللغة في عصر التدهور •• وبعض تلك الالفاظ أخذ من اللغات الافرنجية ، وخاصة اللغتين الايطالية والفرنسية ، وهي :

١ ـ الالفاظ الادارية التركية	لفظها الاصلي	معناها
سنجق	سنجاق	راية
طابور	طابور	كتيبة
بلك	بلوك	سرب
الاي	آلاي	فرقة
اوردي	اوردو	جيش
جفلتك	جفلتك	مزرعة
اورنيك	اورنك	نموذج
اورطة	اوردي	جيش

ويلحق بالالفاظ التركية كل ما تركب تركيبا ، ولـــو كان عربيا او فارسيا . والغالب ان يكون ذلك التركيب مع «جي» للنسبة او «باش» رأس كقولهم : مكتوبجي ، ومخزنجي ، واجزاجي ، وتمرجي ، وهـــذه مركبة من تيمار بالفارسية (سياسة المرضـــــي) وجي . وباشكاتب ، وباشمهندس (مهندس اسم فاعل من لفظ فارسي الاصل «اندازه» معناه التقدير) ، وحكيمباشي . وقد يركب من الاثنين معا مثل مخزنجي باشي، ومكتوبجي باشي ، وقس عليه ..

٢ ـ الالفاظ الادارية الفارسية	لفظها الاصلي	معناها
ياور	ياور	معاون
تمغة	تمغا	طوابع رسمية
بندر	بندر	مرفأ
باره	باره	قطعة
سواري	سواره	فارس
سراي	سراي	بيت

ويلحق بالالفاظ الادارية الفارسية ما يركب من الالفاظ مع «دار» صاحب او «خانة» بيت في آخر الكلمة او «سر» رأس في أولها كقولهم: حكمدار ، وبيرقدار ، ودفتردار ، وكتبخانة ، وخستة خانة ، وأجزخانة ، وسردار ، وسر عسكر ، وسر تشريفاتي ، وقس على ذلك . وقد تقدم ذكر بعضها في كلامنا عن عصر التدهور .

٣ ـ الالفاظ الادارية الفرنسية **لفظها الاصلي** **معناها**

الالفاظ الادارية الفرنسية	لفظها الاصلي	معناها
قومندان	Commandan.	صاحب الأمر
جنرال	Général	قائد
قنصل	Consul	وكيل
بوليس	Police	ضابطة
سكرتير	Secrétaire	كاتم السر
برلمان	Parlement	مجلس الأعيان
قومسير	Commissaire	مندوب

٤ ـ الالفاظ الادارية الايطالية **لفظها الاصلي** **معناها**

الالفاظ الادارية الايطالية	لفظها الاصلي	معناها
بوسطة	Posta	البريد
يونيفورما	Uniforma	بدلة رسمية
ورديان	Guardiano	حارس
اسكله	Scala	سلم
ديكريتو	Decreto	أمر عال
باطنطة	Patenta	رخصة

٥ ـ وهناك ألفاظ ادارية مقتبسة من لغات اخرى ، كلفظ «الغرش» فانه معرب Groschen بالالمانية و «امبراطـــــور» من Emperator في اللاتينية وغيرها .

ب ـ الالفاظ التجارية الدخيلة

اكثر هذه الاصطلاحات معربة عن الايطالية والفرنسية، لان الايطاليين او أهل البندقية من أقدم تجار أوربا اختلاطا بالمشارقة في القرون الاخيرة.. واليك أمثلة من الاصطلاحات الايطالية :

١ ـ الالفاظ التجارية الايطالية	لفظها الاصلي	معناها
كمبيو	Cambio	صرف
كمبيالة	Cambiale	حوالة
فاتورة	Fattura	كشف
سيكورتا	Sicurtà	تأمين
قومبانية	Compagna	شركة
اسبتالية	Ospitale	مستشفى
بروتستو	Proteste	اقامة الحجة
بورصة	Borsa	تجارة
ديبلوما	Diploma	شهادة
اجيو	Agio	.....

٢ ـ الالفاظ التجارية الفرنسية	لفظها الاصلي	معناها
بنك	Banc	مقعد ثم المصرف
قومسيون	Commission	لجنة
كوبون	Coupon	لقطع

وهناك ألفاظ متفرقة من لغات اخرى : كالكمرك مثلا ، فانه تعريب «كومركي» باليونانية ، وكذلك ناولون .. وشك مأخوذة من صك الفارسية او أصلها صك بالعربية ، وطاقم بالتركية ، ودروباك في الانجليزية ، وقس على ذلك ..

ومثل هذا كثير في اصطلاحات نظارات الحكومة ومصالحها ، وخاصة في السكة الحديدية ، والتلغراف ، والحربية .. واصطلاحات التجار ، وأصحاب الحوانيت ، والصناع ، وغيرهم . وهي تعد بالمئات .. وقد أغفلناها لشهرتها ، ولأن الكتّاب يعدونها من قبيل الالفاظ العامية ، فلا دخل لها في بحثنا .

ج ـ الالفاظ العلمية الدخيلة

الالفاظ العلمية التي دخلت اللغة العربية في هذه النهضة كثيرة جدا، ومعظمها مقتبس من الفرنسية ، والايطالية ، والانجليزية ، لان اكثر العلوم المترجمة الى لساننا منقولة عنها .. على ان المصطلحات العلمية متشابهة في لغات الافرنج . لان مصدرها عندهم اما اللاتينية ، او اليونانية . فلا غرو اذا اخذناها بلفظها كما اخذها الانجليز او الفرنسيون او غيرهم ، وعددناها من قبيل الالفاظ الوضعية بلفظها ومعناها . ويدخل في ذلك أسماء العلوم الجديدة : كالجيولوجيا ، والمترولوجيا ، والفيسيولوجيا ، والثرابيوتيا ، والفرينولوجيا ، والهيستولوجيا ، والهدروستاتيك ، والميكانيكيات ، وغيرها . ويدخل في ذلك ايضا أسماء الآلات الطبيعية او الفلكية او الكهربائية او نحوها .. مما لم يكن له مثيل عند العرب ، وسيأتي ذكرها .

فالالفاظ الطبية الدخيلة كثيرة ، وفي جملتها أسماء كثير من الامراض

او العقاقير والادوات ، وأكثره لم يكن له مثيـــــل في الطب العربي ، كالدسببسيا ، والبانكرياس ، والنفرالجيـــا ، والبلورا ، والسمباتوي ، والبلهارسيا ، والدفتيريا، والهستيريا ، والانيميا، والبروتوبلاسم ونحوها.

ومن المصطلحات الكيمائية غير أسماء العقاقير الكثيرة ما يحدث من تراكيبها ، كالاكسيد ، والكلوريد ، واليودور ، والكربونات ، والفوسفا، والاكسسموس ، والاندسموس ، والكربونيـــك ، والهدروكلوريك ، والهدروسيانيك ، والفوتوغراف ، والزنكوغراف ، وغيرها من الاسماء الصناعية المبنية على الكيمياء .

ومن المصطلحات الطبيعية ، البارومتر ، والكهربائية (الكهرباء لفظ فارسي مركب من «كاه» التبن و «ربـــا» جاذب) ، والبطاريـــة ، والكلفانومتـــــر ، والترمومتر ، والهيدرومتـــــر ، والالكتروتيب ، والميكروسكوب ، والتلسكوب ، والسبكتروسكوب، والستيريوسكوب، والتلغراف ، والفونوغراف ، والتليفون ، والفوتوفون ، والميكروفون ، وغيرها .

ولو اردنا الاتيان بكل المصطلحات العلمية لما وسعها غير المجلدات، فنكتفي بما تقدم على سبيل المثال .

د ـ التراكيب الاعجمية

معلوم ان اكثر المصادر التي يرجع اليها كتاب اللغة العربية في العلم الطبيعي وفروعه مكتوبة باللغات الافرنجية ، وأكثر الكتّاب عندنـــا يحسنون لسانا او غير لسان من اللغات الاعجمية ، وأكثر ما يقرأونه من الكتب او الجرائد في اللغات الافرنجية .. فضلا عن شيوع تلك اللغات بين العامة ، فحيث سار الكاتب في المدن الكبرى فانه يسمع العبارات

الافرنجية • فلا غرو اذا داخل عبارته تركيب افرنجي او تعبير اجنبي • ولا يخفى ان لكل لغة أسلوبا في التعبير لا ينطبق بكل تفاصيله على اساليب اللغات الاخرى • واللغات تتقارب وتتباعد في تلك الاساليب بتقارب أصول الشعوب وتباعدها ، والعرب بعيدون في أصولهم عن الافرنج •• فأساليب التعبير في لغاتهم متباعدة ومتباينة ، والغالب ان تمتاز كل لغة ببعض اساليبها على اللغات الاخرى وتقصر في البعض الآخر •• يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان الى لسان ، فاقتباس العرب بعض اساليب الافرنج في كتابتهم قد يكون من جملة مكملاتها ، واذا عده بعض اللغويين فسادا في اللغة ، فلأن بعض كتابنا يبالغون في ذلك الاقتباس•• فيتناولون عبارات افرنجية ، في اللغة العربية ما هو أجمل منها وأمتن ••

ومن أمثلة ما حدث في اللغة العربية من التراكيب الافرنجية ، وقد جرت على أقلام كثيرين قولهم :

١ ــ فلان كلاهوتي يقدر ان يؤثر كثيرا •
٢ ــ رأيت صديقي فلان الذي اعطاني الكتاب (أي فأعطاني) •
٣ ــ رغما عن مساعيه الحميدة لم ينجح في عمله •
٤ ــ مستمدا العناية من الله أقف بينكم خطيبا •
٥ ــ لعب فلان دورا مهما في هذه المسألة •
٦ ــ المعاهدة المصادق عليها من الدولة الفلانية •
٧ ــ ان الامر الفلاني مضر بقدر وشرف ومالية فلان •
٨ ــ يوجد في بلاد الحجاز عدة جبال •

ونحو ذلك من التراكيب التي ترى الصيغة الافرنجية ظاهرة فيها •• على ان اهل العناية في الانشاء العربي قلما يستخدمونها ، وان كنا لا نرى بأسا من استخدام بعضها في الاحوال التي تضيق التراكيب العربية فيها•

٢ ـ المولـد

ونريد بالمولد ألفاظا عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعاني التي اقتضاها التمدن الحديث في الادارة او السياسة او العلم او غـــير ذلك ، وهي كثيرة نذكر أمثلة منها •

١ ـ الالفاظ الادارية المولدة

وهي ما استخدمته الحكومة من الالفاظ العربية لمعان حدثت فـــي الدولة او تنوعت على مقتضى السياسة او الادارة ، وهاك أمثلة منها :

المالية	أموال غير	مقررة الايرادات	مكافأة
الداخلية	المأمور	التكليف	قلم تحريرات
الخارجية	رئيس قلم	محافظة	تشريفاتي
الاشغال العمومية	مفتش	مركز	خدمة سائرة
المعية	معاون	عوائد	تعويضات
الخاصة	متصرف	رسوم	معاشات
الدائرة السنية	مصلحة	مصاريف نثرية	مصلحة الري والترع
المدير	نظارة	مساحةالتوالف	شورىالقوانين
الناظر	ميزانية	علاوة	معاون اول وثاني الخ••
كاتب اول وثاني الخ ••	السخرة	ملاحظ	النيابة
قواص	مستشار	رتبة اولى الخ	ناظر النفوس

مراقب	مساعد	متمايز	قضاء
أموال مقررة	مستخدم	تذكرة مرور .	ناحية

٢ ـ **الاصطلاحات الجندية ومنها :**

المشير	أركان حرب	بدل سكن	النسافة
الفريق	تجهيزات حربية	الاستعراض	الطرادة
اللواء	ضابط	الحربية	الغواصة
قائمقام	نفر	المهمات	الدارعة
خفر السواحل	تعيينات	الهدنة	البارجة
القرعة العسكرية	كساوي	البلاغ النهائي	غرامة الحرب
	بدل سفرية		

٣ ـ **الاصطلاحات القضائية ومنها :**

الحقانية	محكمة الجزاء	النيابة	مدعي عمومي
العدلية	المجالس الاهلية	النقض والابرام	مميز
محضر	المجالس المختلطة	معارضة	
المحكمة الابتدائية	مجالس للاستئناف	الحكم العرفي	

٤ ـ **اصطلاحات سياسية**

مؤتمر	السفارة	المحافظون	مجلس الاعيان
معتمد	الاستعمار	الاحرار	مجلس العموم

مندوب	الاحتلال	الاشتراكيون	المسئولية
السياسة	الدوائر السياسية	مجلس الشيوخ	

٥ ـ اصطلاحات الصحافة

الصحافة	مراسل	بدل الاشتراك	الاعلانات
جريدة	مكاتب	المطبوعاتالدورية	المنشورات
مجلة	محرر	وغير الدورية	الوصل

٦ ـ اصطلاحات في الطبيعة

الثقل النوعي	السمعيات	التبلور	القوة
الزخم	الحل الكهربائي	جاذبية الالتصاق	السديم
والتباعد عنالمركز	التمغنط	والملاصقةوالشعرية	العدسةالبلورية
الجاذبية	انكسار النور	التداخل	البؤرة
السطح المائل	تشرف النور	السرعة	شفاف
المفرغة	استقطاب النور	تكهرب	مظلم
القابلة	الموشور	المادة	منير

٧ ـ اصطلاحات في الكيمياء

حامض	كثافة	منقوع	متعادل
قاعدة	مرونة	صبغة	لفائف الحدة
تحليل	غاز	الجرم	السمات
الطيف الشمسي	جامد	الالفة الكيماوية	العبارات

عنصر	سائل	قلوي	يستحضر
الوزن الجوهري	محلول	حامض	يحضّر
املاح	تحليل	كاشف	الجوهر الفرد
تركيب	البلبوس	الدقيقة	الذرة

٨ ـ اصطلاحات طبية

حويصلة	صمامات القلب	الزهري	انسكاب
غشاء مخاطي	اللين	الصفير	تصلب
الخلايا الهوائية	تمدد	الطنين	التشخيص
الاختلاطات	تدرن	الأعراض	حؤول

٩ ـ اصطلاحات صناعية

قطار	حروف	الباخرة	المحامي
قاطرة	أمهات	الرفاص	الطباعة
مطبعة	المعامل	السكة الحديدية	

١٠ ـ اصطلاحات تجارية

الرهونات	الشك المسطر	الفائدة	مسك الدفاتر
عمولة	الاستاذ	حساب النمرة	الزنجير
المقاول	اليومية	حساب جاري	الجرد
الرسمية	الخرطوش	العينات	سدد الحساب

الميري	الصندوق	المضاربة	الاستهلاك
أسهم الشركات	القسيمة	صرر النقود	مساهمة
القراطيس	الامضاء	التحصيل	المتسبب
استحقاق	الذممات	الطرود	الأطيان
التحويل	الشركات	التصدير	
المشارطة	فتح اعتماد	الاعتماد	التصفية
عميل	دين ممتاز	المصاريف الهالكة	المزايدة
العمولة	الاقتصاد	المال الاحتياطي	المناقصة
تحويل	الرهونات	الساحب	التسجيل
تسليف نقود	الممارسة	المسحوب عليه	ميعاد
سحب(السندات)	المحصول	حامل السند	استحقاق

هذه أمثلة من الالفاظ المولّدة في النهضة الاخيرة في الادارة والسياسة والتجارة ، والعلم ، والصناعة • وهي كما تراها عربية الاصل والاشتقاق ، وأكثرها كان معروفا في اللغة ومدونا في المعجمات من قبل لمعان قريبة ، مما استعملها له المولّدون او شبيهة بها على نحو ما حصل في العصر العباسي •• ولكل من هذه الالفاظ تاريخ يدل على ما تقلبت فيه من الدلالات المتقاربة من زمن الجاهلية ، فالعصر الاسلامي ، فعصر التدهور الى هذا العصر •

ولا ننكر ان بعض هذه المولّدات كان في الامكان الاستغناء عن توليدها باستعمال ألفاظ كانت في اللغة قبل هذه النهضة ، ولها نفس الدلالة المطلوبة ، ولكن قضت الاحوال بالتجديد المستمر •• وهو من نواميس الحياة •

وأكثر التوليد المذكور حدث تدريجا واعتباطا لاسباب متفرقة

ومختلفة ، لا يمكن تعيينها او حصرها .. على ان بعضها وضع عن روية وقصد وهو قليل . وأما الاغلب في هذا التوليد ان يدخل اللغة تدريجا مثل تدرج العادات والآداب في تولدها ودخولها في جسم الامة . ومن أوضح الامثلة على ما تتقلب فيه الالفاظ من المعاني او تتدرج في ابداله ، ما اصاب نعوت التفخيم من التغيير العجيب بانتقالها من عصر الى عصر.. فالاديب ، والألمعي ، والفاضل ، والعلامة ، والفهّامة ، وحضرة وجناب ، يستخدمها الكتّاب اليوم لغير ما كان يستخدمها الاقدمون .. وقد يكون الفرق بعيدا بين المعنيين . فالاديب مثلا مشتقة من الادب ، وهو يشمل معظم ضروب العلم .. وقد استعملها المولدون في العصور الاسلامية الوسطى لما نستعمل له اليوم لفظ العالم الفاضل ، وما زالت دلالتها تتصاغر حتى صاروا يستخدمونها لاصغر خدمة الادب . والحضرة، والجناب كانتا من نعوت الملوك والامراء ، فأصبحتا تستخدمان لأحقر العامة . وقس على ذلك سائر الالقاب .. وشأن هذه النعوت في حياتها شأن الرتب وأدوارها ، فلفظ «بيك» مثلا معناه الامير ، او الملك .. وكانوا يسمون به كبار الامراء والقواد ، ثم جعلوه لقبا ملكيا يمنح لبعض الوجهاء ونحوهم ممن يأتون عملا عظيما ، ثم صار الى ما تعلم . ويقال نحو ذلك في سائر الرتب والنعوت ، فهي في صعود وهبوط وتولد ودثور في دلالتها ، شأن الطبيعة في كل أحوالها .

لغة الحكومة المصرية

في دواوينها

لا غرو اذا أفردنا للغة الحكومة المصرية بابا خاصا لاختصاصهـا بألفاظ وتعبيرات لا مثيل لها في اللغة الفصحى ، وفيها ما لا يمكن تطبيقه على قاعدة ، ولا الرجوع به الى قياس .. ففي مخاطبات الدواويـن وصور الاوامر العالية من الالفاظ الغريبة ، والتراكيب الركيكة ما هو غريب في بابه ، وقد بلغ ذروة الغرابة في أواسط القرن الماضي قبـل نضج هذه النهضة .

وأصل الركاكة والغرابة في لغة الدواوين ، يرجع الى عصر التدهور في زمن الامراء والمماليك .. وطبيعي ان اللغة تحيا بحياة اهلها ، وتموت بموتهم ، وتزهو بزهوهم ، وتنحط بانحطاطهم .. ففي عصر أولئـك الامراء ، بلغت مصر من التدهور في السياسة والادارة والآداب والعلوم ما لم يبق بعده غاية .. فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغـة الكتابة أشبه شيء بلغة العامة لركاكة عبارتها مع ما فيها من الالفـاظ الاعجمية ، والعامية .

فدخل الفرنسيون مصر في اواخر القرن المذكور ، ولغة العلماء تكاد

تكون عامية ، واليك أمثلة من كتاب نشره علماء مصر ومشايخها اثناء احتلال الفرنسيين ، قالوا :

«نعرّف اهل مصر من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، بعد ما كانوا اصحابا وأحبابا بالسوية، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند امـــير الجيوش بونابرته ، وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة الى الفقراء والمساكين . ولـــولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلوا كامل اهل مصر ، فعليكم ان لا تحركوا الفتن . ولا تطيعوا امر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا الاشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب ..»

وقد ذكرنا مثالا من كلام الجبرتي مؤرخ تلك الحوادث في كلامنا عن اللغة العربية في عصر التدهور .

ولما جاء الفرنسيون الى مصر ، كان في جمله حملتهم جماعة مـــن التراجمة ليتوسطوا بينهم وبين الاهالي والعلماء . ويترجموا لهـــم المنشورات ، والمراسلات ، ونحوها .. والظاهر انهم كانوا من غير ابناء اللغة العربية .. فكانوا اذا ترجموا عبارة صاغوها في قالب افرنجي ، وما لم يجدوا له لفظا عربيا تركوه بلفظه الافرنجي او وضعوا له لفظا عاميا .

فلما أفضت الولاية الى محمد على مؤسس العائلة الخديوية ، وأخذ في انشاء الدواوين ، لم يكن له غنى عمن يترجم بين حكومته وحكومات دول اوربا ، فاستخدم التراجمة وفيهم جماعة من اهل المغرب وغيرهم ، واللغة لا تزال في انحطاطها وركاكتها ، والذين يعرفون اساليبها ويحفظون ألفاظها قليلون جدا .. وخاصة بين الذين استخدموهم في الدواويـــن

للكتابة او الترجمة • وقد رأيت مثالا من لغة المشايخ والعلماء ، وقد قضوا أعواما طوالا في الازهر ، وقرأوا كتب العلم والفقه •• فكيف بكتّاب الدواوين والتراجمة ••

ومما زاد اسباب الفساد في اللغة ان الحكومة بدأت في انشاء الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها ، قبل اهتمامها بتعليم الناس وتهذيبهم وترقية أفكارهم واصلاح شأنهم •• فدخل في العصر الاول لحكومة محمد علي كثير من الالفاظ والتراكيب العامية ، ثم تنوعت وتكيّفت على أسلوب خاص وأوضاع خاصة وألفاظ خاصة•• وعرفت بلغة الدواوين •

فلما استنار الناس على أثر نشر الصحافة ، ونبغ الكتّاب ، والمنشئون في أواخر القرن الماضي ، انتظم جماعة منهم في مناصب الحكومة الكتابية، فنقحوا كثيرا من تلك الغرائب ، ولا يزالون عاملين على تنقيحها •

ومع ذلك فلا يزال فيها من الالفاظ المولّدة ، والدخيلة ، وضروب التركيب ما هو بعيد عن لغة سائر الكتّاب ، حتى في معاني الالفاظ العربية المستعمل عند كليهما ، وهاك أمثلة كثيرة الشيوع ••

الفاظ ديوانية	معناها	الفاظ ديوانية	معناها
مطاعنة	شكوى	معروض	(عرضحال)
براءة الساحة	تبرير	ناحية	قرية
بالقضاء والقدر	عرضا	عزبة	دسكرة
اتضحت ادانته	ظهر ذنبه	ابعدية	مزرعة
صرف	دفع	نزل	ادارة تقديم المؤن
عريضة	براءة	انجرارية	ادارة المراكب

طاقم	بحرية مركب	مصروفات	نفقات
مفتعل	مزوّر	خوجا (سفينة)	كاتب
ظهورات	موقت	تعلق فلان	خاصته
نشاوي	جديد	أفرج عنه	أطلق سراحه
اضمحل حاله	صار فقيرا	مستند	سند
مباشرة	رأسا	جبر	كسر
دولاب	خزانة	نفق	مات
استيداع	راتب يعطى بعد الرفت	مراسلة	خادم عسكري
عجوزات	متأخرات المال		

وغير ذلك كثيرا من الالفاظ العربية وغير العربية •• وقس عليه التراكيب والتعبيرات الخاصه متل ادخال «لم» على فعل المضارع كقولهم: «لم اتى» بدلا من «لم يأت» وصوغ الفعل المجهول من المصدر وفعل الصيرورة على نحو ما في اللغات الافرنجية كقولهم : «صارت كتابته» بدلا من «كُتب» •

وقد ولّدوا صيغة خاصة للفعل الماضي تركب من المصدر ، ولفظ «معرفة» فيقولون : «كتب الكتاب بمعرفة فلان» بدلا من قولنا : «فلان كتب الكتاب» وربما ركبوا هذه العبارة مع التي قبلها ، فقالوا : «صارت كتابة الكتاب بمعرفة فلان» وقس على ذلك •• ناهيك بركاكة التعبير ، وان لم تخالف قواعد النحو او الصرف مما يضيق عنه المقام وقد أغضينا عنه لشهرته •• على ان كتّاب اللغة وعلماءها يعدون تلك الالفاظ وأمثالها من قبيل الاصطلاحات العامية واستعمالها خطأ ، وقد اخذت الحكومة في تنقيحها بالتدريج كما تقدم •

الخلاصة

يتبين للقارىء مما ذكرناه عن أحوال اللغة العربية فيما توالى عليها من العصور والادوار في اثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية الى هـذا اليوم . انها سارت في كل ذلك سير الكائنات الحية بالدثور والتجـدد المعبر عنه بالنمو الحيوي .. فقد تولدت في العصر الاسلامي ألفـاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي ، وتولدت في العصور التالية ما لم يكن فيما قبلها . وأخيرا تولدت في نهضتنا الاخيرة من الالفاظ والتراكيب ما لم يكن معهودا من قبل .. فالوقوف في سبيل هذا النمو مخالـف للنواميس الطبيعية ، فضلا عن انه لا يجدي نفعا .. فاللغة كائن حي نام خاضع لناموس الارتقاء ؛ ولا بد من توالي الدثور والتولد فيها .. اراد اصحابها ذلك او لم يريدوا . تتولد ألفاظ جديدة وتندثر ألفاظ قديمة على مقتضيات الاحوال لحكمة شملت سائر الموجودات .

***

وقد آن لنا ان نلخّص أقلامنا من قيود الجاهلية ، ونخرجها من سجن

لبداوة •• والا فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد • فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به اهل البادية منذ بضعة عشر قرنا ، لان لغة البراري والخيام لا تصلح للمدن والقصور ، الا اذا ألبسناهـــا لباس المدن •• فلا بأس من استعمال الالفاظ المولـّدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي ، لان معناها لم يكن معروفا في الجاهلية ؛ او التي كان لها لفظ وترك فأصبح غريبا مهجورا •• فاستعمال اللفظ المولـّد خير من احياء اللفظ الميت ، واستبقاء المولود الجديد أولى من احياء الميت القديم •• واذا عرض لنا تعبير اجنبي لم تستعمل العرب ما يقوم مقامه لا بأس من اقتباسه • وفي اعتقادنا ان اطلاق سراح الاقلام على هـــذه الصورة ، يكشف لنا عن جماعة كبيرة من أرباب القرائح •• يقعدهم عن الاشتغال بالادب خوفهم من الوقوع في خطأ لغوي او بياني يؤاخذون عليه •• وليست فيهم شجاعة ادبية تحملهم على عدم المبالاة بالنقد •• اذا كان فيما يكتبونه فائدة •• والخطأ اللغوي لا يقلـّل شيئا من قدر الكتاب ، لان الاحاطة بكل أوضاع اللغة وقواعدها وشواردها لا يتأتى الا لقليلين •

***

على اننا لا نقول في هذا الانطلاق نحو ما يقوله الافرنج في لغاتهم، لان شأننا في لغتنا غير شؤونهم في لغاتهم •• فلا بد لنا مع هذا الاطلاق من الرجوع الى القواعد العامة والروابط الاساسية ، فلا نفسد اللغـــة بألفاظ العامة وتراكيبهم •• ولا نكثر من الدخيل حتى تصير لغتنا مثـــل اللغة التركية العثمانية التي اصبحت لكثرة ما أدخلوه فيها من الالفاظ العربية والفارسية والافرنجية ، لا مثيل لها في العالم الا اللغة الهندستانية (الاوردية) التي يكتب بها الهنود جرائدهم وكتبهم •• اما اللغة العثمانية، فاذا عدّت ألفاظها باعتبار اللغات المؤلفة هي منها ، كان نحو ٧٠ في المائة

من الالفاظ العربية و١٥ في المائة من الفارسية ، و٥ في المائة من اللغات الافرنجية ، وعشرة في المائة فقط من الالفاظ التركية الاصلية ، ويقال نحو ذلك في اللغة الاوردية ، وفي اللغة المالطية .

★★★

اما اللغة العربية ، فلا بد من المحافظة على سلامتها والاهتمام باستبقائها على بلاغتها وفصاحتها ، وخاصة بعد ان اخذت تنهض الى أرقى ما بلغت اليه في ابان شبابها .. فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل والمولّد ، وانما يؤخذ منهما بقدر الحاجة ، على ان نعدّ ذلك الاقتباس نمواً وارتقاء ، لا فسادا وانحطاطا .

على اننا نعدّ ما كتبناه في هذا الموضوع خواطر أبديناها ، وفتحنا بها باب البحث . وأما استيفاء الكلام في تاريخ اللغة وألفاظها وتراكيبها فلا يسعه الا المجلدات الضخمة .. فنتقدم الى أئمة اللغة وكتّابها ، وعلمائها ان يزيدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة ..